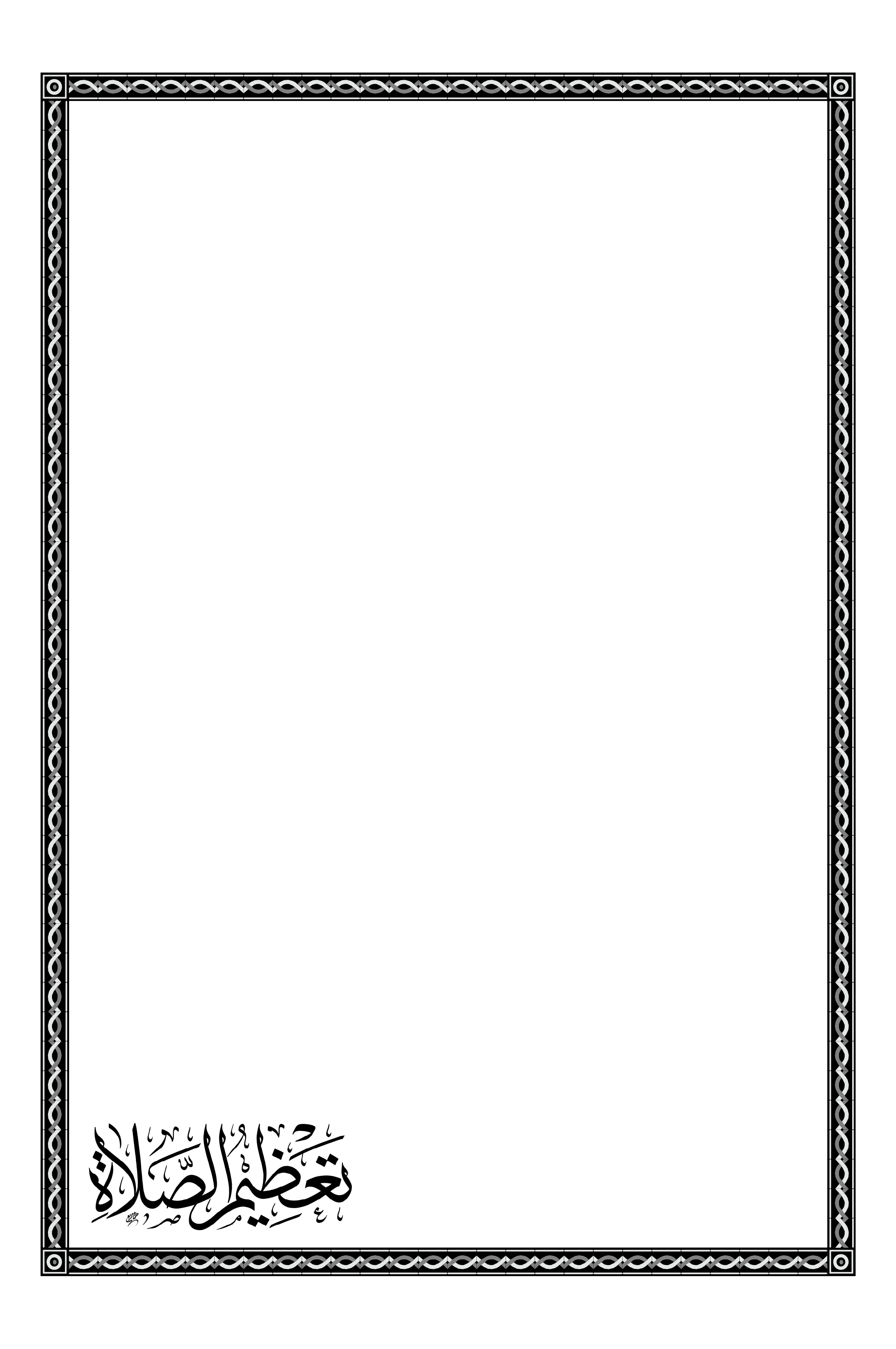
تعظيم الصلاة

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر



دار الفضيلة
للنشر والتوزيع


تعظيم الصلاة



الطبعة الأولى لدار الفضيلة

(1434 هـ ـ 2013 م)

رقم الإيداع: 201 ـ 2013

ردمك: 1 ـ 64 ـ 866 ـ 9947 ـ 978

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

العنوان: حي باحة (03)، رقم (28) الليدو ـ المحمدية ـ الجزائر

هاتف وفاكس: 021519463

التوزيع: 08 53 62 (0661)

البريد الإلكتروني: darelfadhila@hotmail.com

موقعنا على الشبكة العنكبوتية: www.rayatalislah.com

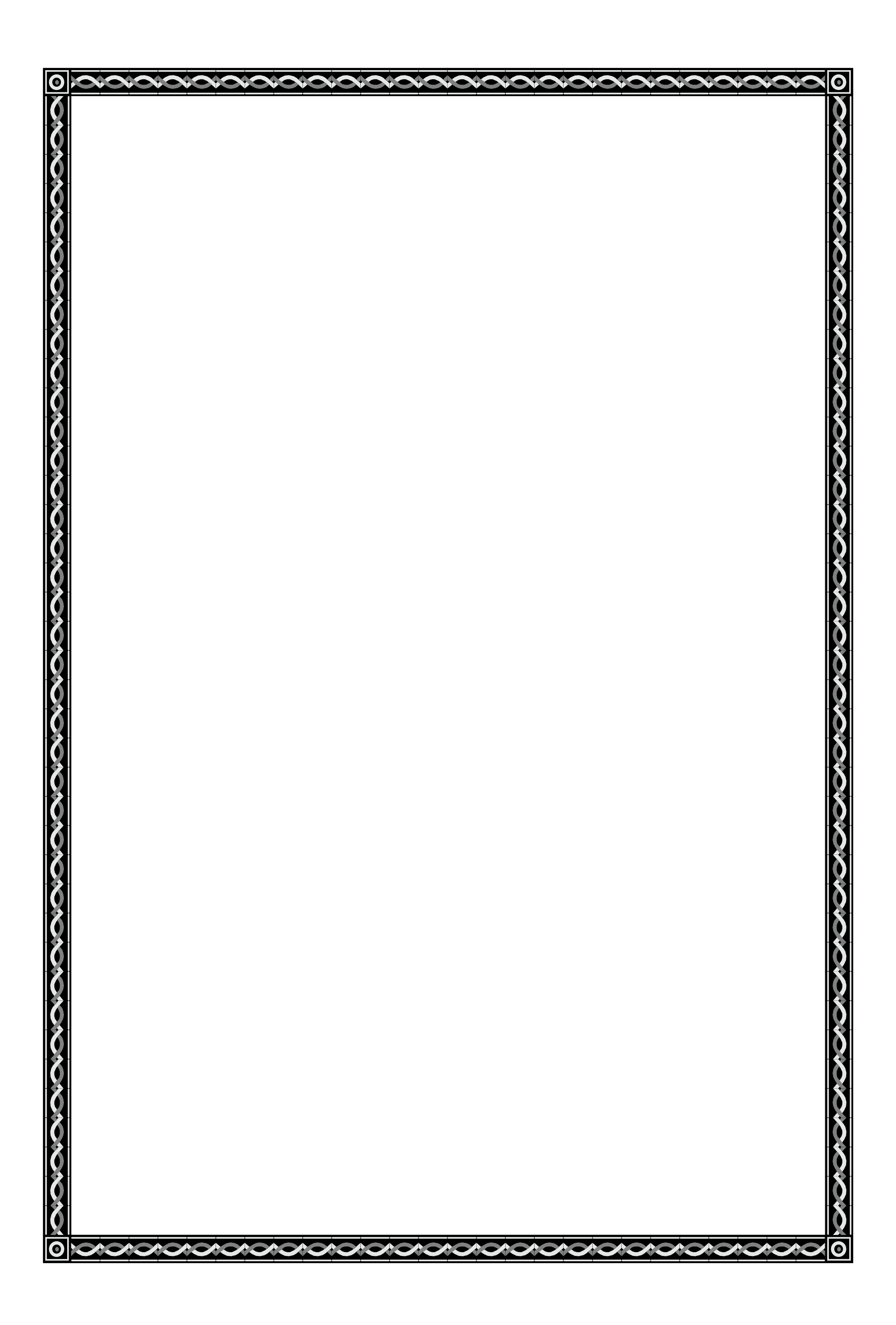


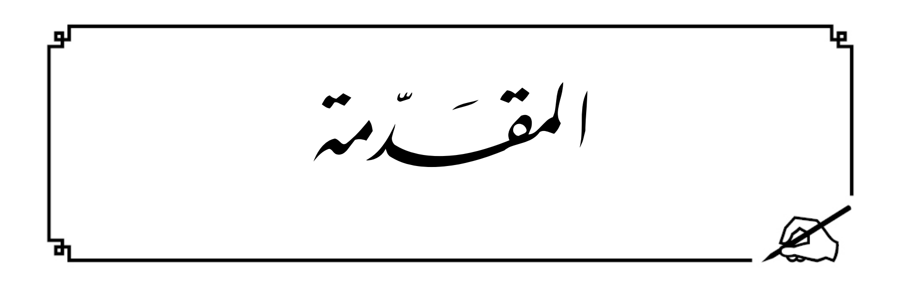
إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار الفضيلة

للنشر والتوزيع





الحمد لله الممتنِّ على عباده المؤمنين بما دلَّهم عليه من معرفَته، وشَرَح صدورَهم للإيمانِ به وتوحيدِه، وما افترَضَ عليهم من الصَّلاة خضوعًا لجلاله، وخشوعًا لعَظَمته، وتواضعًا لكبريائه، ولم يفترَض عليهم بعدَ توحيدِه والتَّصديقِ برُسُلِه وما جاءَ من عنده فريضَةً أوَّلَ ولا أعظمَ منَ الصَّلاة؛ مَن حافظ عليها كانَت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يومَ القيامَة، ومَن لم يحافظ عليها لم يكُن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ يومَ القيامة.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له؛ كلمةٌ قامَت بها الأرضُ والسَّموات، وفطَرَ اللهُ عليها جميعَ المخلوقاتِ، وعليهَا أُسِّسَت الملَّة، ونُصِبَت القِبلة، وهيَ كلمَة الإسلام، ومفتاحُ دار السَّلام، وأشهَدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وخِيرتُه مِن خلقِه، وحجَّتُه على عبادِه، وأمينُه على وحيِه؛ أرسلَه رحمةً للعالمين، وقدوَّةً للمتَّقين، ومحجَّةً للسَّالكين، أرسلَه بالهدى ودينِ الحقِّ بينَ يدي السَّاعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنِه وسراجًا منيرًا، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه وأزواجِه وسَلَّم تسليمًا كثيرًا؛ وبعد:

فإنَّ أهمَّ أمور العبد الصَّلاة؛ فمَن حافَظ عليها وحفِظها حفظَ دينَه، ومن ضيَّعها كان لما سواها من عمله أشدَّ إضاعةً، وهي عمود الإسلام كما صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ، وسائر الشَّرائع كالأطناب والأوتَاد ونحوها، وإذا لم يكن للفُسطاط عمود لم يُنتَفع بشيء من أجزائه؛ فقَبول سائر الأعمالِ موقوفٌ على قَبول الصَّلاة، فإذَا رُدَّت رُدَّت عليه سائر الأعمال، وهي أوَّل فروض الإسلام، وهي آخِر ما يُفقَد من الدِّين، فهي أوَّل الإسلام وآخره؛ فإذا ذهبَ أوَّلُه وآخرُه فقَد ذهب جميعُه، وكلُّ شيءٍ ذهبَ أوَّلُه وآخرُه فقَد ذهب جميعُه.

فلا يستقيمُ دينُ المسلم، ولا تصلح أعمالُه، ولا يعتدلُ سلوكُه في شؤون دينه ودُنياه، حتَّى يُقيم هذه الصَّلاة على وجهها المشـروع عقيدةً وعبادةً، متأسِّيًا برسول الله ﷺ.

و«لا ريب أنَّ الصَّلاة قرَّة عُيون المحبِّين، ولذَّة أرواح الموحِّدين، وبستان العابدين، ولذَّة نفوس الخاشعين، ومحكُّ أحوال الصَّادقين، وميزان أحوال السَّالكين، وهي رحمةُ الله المهداة إلى عباده المؤمنين.

هداهم إليها، وعرَّفهم بها، وأهداها إليهم على يد رسوله الصَّادق الأمين رحمة بهم، وإكراما لهم، لينالوا بها شرف كرامته، والفوز بقربه لا لحاجة منه إليهم، بل منَّة منه، وتفضُّلًا عليهم، وتعبَّد بها قلوبهم وجوارحهم جميعًا، وجعل حظَّ القلب العارف منها أكمل الحظين وأعظمهما؛ وهو إقباله على ربِّه سبحانه، وفرحه وتلذُّذه بقربه وتنعُّمه بحبِّه، وابتهاجه بالقيام بين يديه، وانصرافه حال القيام له بالعبودية عن الالتفات إلى غير معبوده، وتكميله حقوق عبوديته ظاهرًا وباطنًا حتَّى تقع على الوجه الَّذي يرضاه ربُّه سبحانه»(١).

(١) «أسرار الصلاة» لابن القيِّم (٢٢٨).

وحريٌّ بكلِّ مسلم أن تعظُمَ عنايتُه بهذه الفريضَة الَّتي هي صلةٌ بينَه وبينَ ربِّه تعالى، اهتماما بأركانها وواجباتها وشروطِها وغيرِ ذلكم ممَّا شرع الله فيها، وأن يؤدِّيها بغاية الخشوع والإحسَان والطُّمأنينة ظاهرًا وباطنًا ليفُوز بعظيم الثَّواب، ففي «صحيح مسلم»[1] عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**».

وفي هذه الرِّسالة جملةٌ من المواعظ والنَّصائح بشَأن هذه العبادة الجليلَة، جلُّها خطبٌ ألقيتُها في أوقاتٍ متفاوتةٍ في يوم الجمعة المبارك على أمَّة الإسلام، أضفتُ إليها بعضَ الفَوائد الثَّمينة نقلًا عن شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وتلميذِه العلَّامة ابن القيِّم رحمهما الله، وأرجُو أن يكونَ ما حوته ماضيًا على نهج السَّلف الصَّالح من العنَاية بالصَّلاة والتَّذاكر لمكانتِها وتعظيمِها كما في «صحيح البخاري»[2] عن الأسود قال: «كنَّا عندَ عائشَة رضي الله عنها فَذَكَرْنَا الْمُوَاظَبَةَ عَلَى الصَّلاَةِ والتَّعْظِيمَ لَهَا، قَالَتْ: لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ الله ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ، فَأُذِّنَ؛ فَقَالَ: **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**؛ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ؛ وأَعَادَ، فَأَعَادُوا لَهُ؛ فَأَعَادَ

(١) برقم (٢٢٨).

(٢) برقم (٦٣٣).

الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: **إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَكَانَكَ ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ ـ قِيلَ لِلأَعْمَشِ: وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلاَتِهِ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ أَبِي بَكْرٍ؟ فَقَالَ بِرَأْسِهِ: نَعَمْ ـ»؛ فساقَت رضي الله عنها في هذَا المجلس المبارَكِ القَائم على تَذَاكر شأنِ الصَّلاة والمُواظَبَة عليها وتعظيمِها هذه القصَّة العظيمَة المؤثِّرة لسيِّدِ ولدِ آدَم، وقُدوة العالمين، وكيفَ أنَّه في مرض وفاتِه عندَما وجَدَ من نفسِه خفَّةً خرجَ إليها يُهادى بينَ رجُلَيْن تخطُّ رجلاه الأرض منَ الوَجَع معظِّمًا للصَّلاة محافظًا عليها، وفي هذا منَ التَّربية والتَّعليم بالقُدوة ما لا يخفَى.

وأسألُ اللهَ ـ جلَّ وعلا ـ أن يُعْظم البركةَ في هذه الرِّسالة، وأن يجعَلها لوجهه خالصَةً، ولعباده نافعةً، كما أسألُه ـ سبحانه ـ أن يُصْلح أحوالَ المسلمين جميعًا، ويعْمُر قلوبَهم بالتَّقوى، ويُصْلِح شأنَهم كلَّه، ويمُنَّ على الجميع بالتَّوبة النَّصُوح من جميع الذُّنوب، ويوفِّقَهُم للعناية بالصَّلاة والتَّعظيم لها، والاستقامَة على شريعة الله عَزَّ وَجَلَّ في جميع الأمور، وأن يحفَظَهُم من مكائد الأعداء إنَّه سميع الدُّعاء، وهو أهل الرَّجاء، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل، وصلَّى الله وسلَّم على عبدِه ورسولِه نبيِّنا محمَّد وآله وصحبِه.

وكتبه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

في ٢٥/ ١/ ١٤٣٤هـ

فريضة الصَّلاة
على جميع النَّبيِّين ـ عليهم الصَّلاة والسَّلام ـ

إنَّ ممَّا يدلُّ على مكانة الصَّلاة وعظمَ قَدرِها إيجاب الله إيَّاها على جميع النَّبيِّين ـ عليهم الصَّلاة والسَّلام ـ وإخباره عن تعظيمِهم إيَّاها، وقَد ورَدَ ما يشهَدُ لذلكَ ويدلُّ عليه في مواضِع عديدَةٍ منَ القُرآن الكريم؛ فمِن ذلك:

١ـ ما قاله الله في قصَّة يونُس ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ حينَ التقَمه الحوتُ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات]؛ عن ابن عبَّاسٍ قال: منَ المُصَلِّين، وعن سَعيد بن جبير وقتادَة مثلُه[1].

٢ـ وذكر عن خليله إبراهيم أنَّه لَمَّا ذهب بإسماعيل ـ عليهما الصلاة والسَلام ـ فأسكنَه بوادٍ ليس به أنيسٌ، دعَا ربَّه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ولم يذكُر عملًا غير الصَّلاة؛ فدلَّ ذلكَ أنَّه لا عمَل أفضَل منَ الصَّلاة ولا يُوازيها، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا

---

(١) انظر: «تفسير الطَّبري» (٢١/ ١٠٩).

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الحج]، وذكَر مِن دعائه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة إبراهيم] .

٣ـ وقال في شأن إسماعيل ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ [سورة مريم : ٥٤ـ٥٥].

٤ـ وقال في شأن إسحاق ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ وذرِّيَّته: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ﴾ [سورة الأنبياء :٧٢].

٥ـ وقال في قصَّة شُعيب ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ لمَّا نهى قومَه عن عبادَة غيرِ الله، ونهاهُم عن التَّطفيف في الكَيْل والوَزن، فقالوا: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [سورة هود : ٨٧]، وفي ذلكَ دليلٌ على أنَّهم لم يكونُوا يرونَه يعظِّم شيئًا منَ الأعمال تعظيم الصَّلاة[1] .

٦ـ وموسَى ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ قرَّبه الله ـ جلَّ وعزَّ ـ نجِيًّا وكلَّمه تكليمًا؛ فكان أوَّل ما افترَض عليه بعدَ افتراضِه عليه عبادته إقامَ الصَّلاة ، ولم ينصَّ

(١) قال العلَّامة السِّعدي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: «إنَّ الصَّلاةَ لم تَزل مشروعةً للأنبياءِ المتقدِّمين، وأنَّها مِن أفضَل الأعمال، حتَّى إنَّه متقرِّرٌ عند الكفَّار فضلَها وتقديمَها على سائر الأعمال، وأنَّها تنهى عن الفحشَاء والمنكَر، وهيَ ميزانٌ للإيمانِ وشرائعِه، فبإقامتِها تكمُل أحوالُ العَبد، وبعدَم إقامتِها تختلُّ أحوالُه الدِّينيَّة» .

له على فريضَةٍ غيرَها، فقال ـ تبارك وتعالى ـ مخاطبًا موسى بكلماتِه ليسَ بينَه وبينَه تُرجمان: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [سُورَةُ طه]، فدلَّ ذلكَ على عظَم قَدر الصَّلاة وفضلِها على سَائر الأعمال؛ إذ لم يبدَأ مُناجيه وكَليمَه بفريضَةٍ أوَّلَ منها؛ ثمَّ كانَ من أوَّل ما أمَر به موسَى ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أن يأمُر بني إسرائيل بعدَ أن آمَنُوا به الصَّلاة، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: ٨٧].

٧ـ وداود ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ نبيُّ الله وصفيُّه لَمَّا أصابَ الخطيئةَ، وأراد التَّوبةَ لم يجد لتوبتِه مفزَعًا إلَّا إلى الصَّلاة، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ [سُورَةُ ص].

٨ـ وسليمان بن داود ـ عليهما الصَّلاة والسَّلام ـ عرَضَ الخيلَ بالعشيِّ فأشغَلَه النَّظر إليها عن صَلاة العَصر حتَّى تأخَّر وقتُها، فأسِف ونَدِم، فعاقَب نفسَه بأن حرَمَها الخيلَ الَّتي أشغَلته حتَّى جاوز وقتَ صلاته؛ قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [سُورَةُ ص].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكَر غيرُ واحدٍ من السَّلف والمفسِّرين أنَّه اشتَغل بعرضِها حتَّى فاتَ وقتُ صلاة العَصر، والَّذي يُقطَع به أنَّه لم يتركها عمدًا، بل نسيانًا كما شُغِل النَّبيُّ ﷺ يوم الخندَق عن صَلاة العَصر حتَّى صلاها

بعدَ الغُروب»[1].

٩ـ وقال في قصَّة زكريَّا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ [سورة آل عمران: ٣٩]

١٠ـ وحكى عن عيسى ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ حين تكلَّم في المهد صبيًّا أنَّه قَالَ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾ [سورة مريم].

١١ـ وقال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن أنبياء بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ [سورة المائدة: ١٢].

١٢ـ وذكر عَزَّوَجَلَّ الأنبياءَ نبيًّا نبيًّا فوصَفَهُم، ثمَّ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾ [سورة مريم]؛ فأخبرَ عن جميع الأنبياء أنَّ مفزَعَهم كانَ إلى الصَّلاة يعبُدون اللهَ ويتقرَّبون إليه بها، ثمَّ قال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [سورة مريم] يعني واديًا في جهنَّم[2].

وجاء الخبر عن رسُول الله ﷺ أنَّ الأنبياء قبلَه ـ صلواتُ الله عليهم ـ لم

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٦٥).

(٢) انظر: «تفسير الطَّبري» (١٨/ ٢١٧ـ٢١٨).

يزالُوا يصلُّون الخمسَ الَّتي صلَّاها جبريل بالنَّبيِّ ﷺ ، فعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «**أَمَّني جِبْرِيلُ عِنْدَ البَيْتِ مَرَّتَيْنِ؛ صَلَّى بِيَ الظُّهْرَ حِينَ مَالَتِ الشَّمْسُ قَدْرَ الشِّرَاكِ، وصَلَّى بِيَ العَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، وصَلَّى المَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وصَلَّى العِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى بِيَ الفَجْرَ حِينَ حُرِّمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَى الصَّائِمِ، وَصَلَّى بِيَ الغَدَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، وَصَلَّى بِيَ العَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ، وَصَلَّى بِيَ المَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِيَ العِشَاءَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، وَصَلَّى بِيَ الغَدَاةَ بَعْدَمَا أَسْفَرَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ؛ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! الوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الوَقْتَيْنِ، هَذَا وَقْتُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ**» رواه المروزي في كتابه «تعظيم قَدر الصَّلاة» برقم (٢٩)[1]، ومنه أيضًا جرى تلخيصُ الفَوائد المتقَدِّم ذكرها؛ وفَّقَنا اللهُ أجمعينَ لتَعظيم الصَّلاة والإحسان في إقامَتِها إنَّه سميعُ الدُّعاء.

۞۞۞

(١) رواه أحمد (٣٣٢٢)، وأبو داود (٣٩٣)، والترمذي (١٤٩)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٠٢).

الصَّلاة.. الصَّلاة

إنَّ مِن أكبر المصَائب وأجلِّها وأعظَمِها وأشَدِّها مصيبةَ الأمَّة بوفاة النَّبيِّ الكَريم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ ، الَّذي منَّ اللهُ على الأمَّة ببعثتِه، وكان دليلَهم إلى الجنَّة، وقائدَهم إلى كلِّ فضيلة، وإمامَهم في كلِّ خير: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ].

وفي هذا الحَدَث العَظيم عِبَرٌ كثيرةٌ ودروسٌ عديدةٌ ينبغي أن نقفَ عندَها، ومِن أعظم ذلكَ ما يتعلَّق بشأن الصَّلاة وبيانِ مكانتِها، وهو درسٌ بليغٌ وعبرةٌ مؤثِّرةٌ مُستَفادةٌ من هذا الحَدَث العظيم والمُصاب الجَلَل.

لقَد كانت آخِرَ صلاةٍ صلاَّها نبيُّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ بالمؤمنين صلاةَ الظُّهر من يوم الخميس، ثمَّ إنَّه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ اشتَدَّ به الوجَع فبقي أيَّامًا ثلاثةً لا يتمَكَّن من الخروج إلى الصَّلاة من شدَّة الوجَع ـ وهي يوم الجمعة

والسَّبت والأحَد ـ، وكان ينوبُ عنه في الصَّلاة وإمامَة المسلمين أبو بكر الصِّدِّيق ﵁، وفي فَجر يوم الاثنَين ـ اليوم الَّذي توفِّي فيه ـ كشَف سِترَ حُجْرتِه ليُلقي نظرةً على أصحابه، هي نظرة الودَاع وما أعظَمه من وداعٍ، روى البُخاري ومسلم في «صحيحيهما»[1] عن أنس بن مالكٍ ﵁: **«أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذي تُوُفِّيَ فِيهِ حتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاة، فَكَشَفَ النَّبيُّ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا، وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ وظَنَّ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خَارِجٌ إِلَى الصَّلاة؛ فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبيُّ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ، وَأَرْخَى السِّتْرَ، فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ»**.

لنتأمَّل متَّعظِين ومعتَبِرين؛ فها هُو نبيُّنا ﷺ ينظُر إلى أمَّته في المسجد نظرةَ وداع، ينظر نظرةً هي قُرَّة عينٍ له ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، فقَد كانَت الصَّلاة قرَّة عينِه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، وقد أقرَّ الله عينَه في صبيحَة وفاتِه بأن رأى أمَّته مجتَمعين في المسجد على هذه الصَّلاة، تبسَّم يضحَكُ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، إنَّه تبسُّمُ فرحٍ وسرورٍ، وضحكُ أُنسٍ وهناءَةٍ برؤيته لأمَّته مجتمعَةً في المسجد على هذه الصَّلاة، وأرخى السِّتر ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ قريرَ العَين برؤية هذَا المنظَر المُفرح والصُّورة المُبهجَة ؛ أمَّتُه ـ أمَّةَ الإسلام ـ مجتمعةً في المسجد تصلِّي، أقرَّ الله عينَ نبيِّه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بهذه الصُّورة البهيجة، والحالة المفرِحة.

---

(١) البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

ولم يكُن الأمر في شأن الصَّلاة متوقِّفًا على هذا في لحظاتِه الأخيرَة من حياته ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، يقول عليٌّ رضي الله عنه ـ كما روى ذلك الإمام أحمد في «المسند»[1] بسنَد ثابت ـ : «كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ الله ﷺ: **الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»، بل جاء ما هو أبلَغ من هذَا فيما رواه ابن ماجَه في «سننه»[2] بسَند ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ وهُوَ يُغَرْغِرُ بِنَفْسِهِ: **الصَّلاة وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»، وجاء أيضًا من رواية أمِّ سلَمَة رضي الله عنها زَوجِ النَّبيِّ ﷺ «أَنَّه كَانَ عَامَّةُ وَصِيَّةِ نَبِيِّ الله ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ: «**الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»، حتَّى جَعَلَ نَبِيُّ الله ﷺ يُلَجْلِجُهَا في صَدْرِهِ، ومَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ»[3].

وهذا بلا ريبٍ يدلُّنا على عظَم مكانة الصَّلاة في الإسلام، وعظَم عناية نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ بها؛ ومَن يقرأ أحاديثَه الشَّريفة ووصاياه المنيفَة في حياته كلِّها يُدرك قيمةَ الصَّلاة ومكانتَها في الإسلام، وقَد كان من شأن هذه الصَّلاة ومكانتِها أنَّها خُصَّت مِن بين فرائض الإسلام وعموم الطَّاعات أنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ عرج بنبيِّه إلى ما فوق السَّماء السَّابعة، وفَرض عليه الصَّلاةَ من فوق سبع

---

(١) برقم (٥٨٥)، وأخرجه أبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨)؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦١٦).

(٢) برقم (٢٦٩٧)؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٢١٧٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٤٨٣، ٢٦٦٨٤)، والنَّسائي في «الكبرى» (٧٠٦٠)؛ وصحَّح إسناده الألباني في «الإرواء» (٧/ ٢٣٨).

سماوات، وسمعَ الأمرَ بها، وفرضُها منَ الله ـ تبارك وتعالى ـ بلا واسطَة، فُرضت عليه خمسينَ صلاةً، وسأل اللهَ ـ جلَّ وعلا ـ أن يخفِّفها فخُفِّفت إلى خمس صلواتٍ؛ فكانت خمسَ صلواتٍ بالعَدد، وخمسين في الثَّواب والأجر، بينما عموم الطَّاعات وجميع الفَرائض والعبادات ينزلُ إليه جبريل في الأرض يبيِّن له ويوحي إليه؛ فهذا يبيِّن لنا مكانةَ الصَّلاة العُظمى.

ومِن أسفٍ أن بلَغَ الحالُ ببعض النَّاس أن جعلوا ليلةَ الإسراء والمعراج ليلةَ احتفالٍ؛ يقرؤون فيها القَصائد، ويُنشِدون فيها الأراجيز، مع إهمالٍ للصَّلاة وإضاعةٍ لها، من الَّذي أمرَهُم بهذا؟! ومَن الَّذي دعاهم إليه؟! أين هُم من شأن المعراج وما جاءَ فيه من عبرةٍ عظيمةٍ، ومن أمرٍ جسيمٍ بالمحافظة على هذه الصَّلاة، فترى في بعضِهم تهاونًا في هذه الصَّلاة واستهانةً بها، لكنَّه لا يفوِّت هذا الاحتفالَ أو نحوه من الاحتفالات المحدَثة، فأين هؤلاء من حقيقَة الاتِّباع والاقتداء والائتساء برسُول الله ﷺ؟ وأين هؤلاء من تبسُّم النَّبيِّ ﷺ وضحكِه وقرَّة عينِه برؤية أمَّتِه مجتمعَةً على هذه الصَّلاة؟!

إنَّ المحبَّ حقًّا لرسُول الله ﷺ يترجمُ هذه المحبَّة، ويعبِّر عنها باتِّباعٍ صادق، واقتداءٍ تامٍّ، وتأسٍّ بهديه، واتِّباعٍ لسنَّتِه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، فليسَت التَّرجمة والتَّعبير عن محبَّة النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ تكون بإقامة احتفالاتٍ أو إحداث مواسِمَ أو نحو ذلك ممَّا ابُتلي به بعضُ النَّاس زعمًا منهم أنَّ هذا مِن المحبَّة للنَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، والله؛ ثمَّ والله؛ لو كان هذَا من المحبَّة حقًّا ومن

الاتِّباع صدقًا لكانَ أسبقَ النَّاس إليه الصَّحابة الكرام، والتَّابعون لهم بإحسان، لكنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم ومن اتَّبعهم بإحسانٍ لم يفعَلوا شيئًا من ذلك ، وإنَّما كانَ فعلُهم اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ ، وتأسِّيًا بسنَّته، ولزومًا لهديه.

«**الصَّلاة الصَّلاة**»؛ وصيَّة نبيِّكم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، وهي مِن آخِر ما سُمِع منه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ ، فيا أيُّها المحبُّون للنَّبيِّ ﷺ: الصَّلاة الصَّلاة؛ فهي وصيَّتُه لكُم وعهدُه إليكم، جاء في «المسند» للإمام أحمد[1] بإسناد جيِّد أنَّ الصَّلاة ذُكرت عند النَّبيِّ ﷺ يومًا فقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ القِيَامَةِ، ومَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ ولَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ**»؛ أي أنَّ تاركَ الصَّلاة غير المحافظ عليها يُحشَر يوم القيامَة مع صناديد الكُفر وأعمِدَة الباطل ـ عياذًا بالله من ذلك ـ، وجاء في «صحيح مسلم»[2] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»، وجاء في «المسند»[3] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»، وجاء في «صحيح البخاري»[4] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا،**

(١) برقم (٦٥٧٦) قال الشيخ ابن باز «بإسناد حسن» «مجموع فتاواه» (١٠/ ٢٧٨).

(٢) برقم (٨٢).

(٣) برقم (٢٢٩٣٧)، وأخرجه التِّرمذي (٢٦٢١)، وابن ماجه (١٠٧٩) من حديث بريدة رضي الله عنه ، وصحَّحه الألباني في «صحيح التَّرغيب» (٥٦٤).

(٤) برقم (٣٩١) من حديث أنس رضي الله عنه .

وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذي لَهُ ذِمَّةُ الله وَذِمَّةُ رَسُولِهِ؛ فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ في ذِمَّتِهِ».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

فاتَّقوا اللهَ! أتباعَ النَّبيِّ ﷺ ومحبِّيه، واحفَظوا هذه الوصيَّة وتذكَّروا قولَه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في أيَّامِه ولحظاتِه الأخيرَة، وفي توديعِه أمَّتَه: «**الصَّلاة الصَّلاة**».

وانظُروا في سيرةِ المحبِّين الصَّادقين رعيل الأمَّة الأوَّل؛ فما أزكَاها مِن سِيرةٍ!

روى الإمام مسلم في «صحيحه»[1] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ؛ فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الهُدَى، وإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى، ولَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، ولَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، ومَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ المَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا ـ أي أصحابَ النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ ومَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا ـ أي عن الصَّلاة في المساجد ـ إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ» ؛ تأمَّلوا هذه الصُّورة المُشرقَة، والحال المشرِّفة الَّتي كانَ عليها الصَّحابة الكِرام، حيثُ وعَوْا عن النَّبيِّ ﷺ سنَّتَه، وفهمُوا وصيَّتَه، وحقَّقُوا اتِّباعَه والاقتداءَ به، فكان الرَّجُل منهم يؤتَى به يُهادى بين الرَّجُلين، يساعدُه رجل عن يمينه وآخر عن شماله حتَّى يُقام في الصَّفِّ، بينما الواقعُ في حال

---

(١) برقم (٦٥٤).

كثير منَ النَّاس ممَّن خفَّ ميزانُ الصَّلاة عندَه يُشْغِلُه عنها أدنى الأمورِ وأتفَهُها.

ألا فلْنَتَقِّ الله في هذه الصَّلاة محافظةً عليها، وإقامةً لها، ورعايةً لأركانها وشروطِها وواجباتها؛ فإنَّها أوَّلُ ما يُسأَل عنه العَبد يومَ القيامة؛ فإذا قُبِلت قُبل سائر عمله، وإذا رُدَّت رُدَّ سائر عمَلِه؛ جعلنا الله عَزَّوَجَلَّ من المُقيمين الصَّلاة، ومن المتَّبعين للنَّبيِّ ﷺ ، اللَّهمَّ احشُرْنا في زُمرته وتحتَ لوائه، ووفِّقنا لاتِّباعه يا ذا الجَلال والإكرام.

۞۞۞

مكانة الصَّلاة

إنَّ من أعظم الواجبات الَّتي أوجبَها الله على عبادِه، وأجلِّ الفرائض الَّتي افترَضَها : الصَّلاة؛ فهي عمادُ الدِّين وآكَدُ أركانِه بعد الشَّهادتين، وهي الصِّلة بينَ العَبد وربِّه ، وهي أوَّل ما يُحاسَب عليه العبد يوم القيامة ؛ فإن صلحَت صلح سائرُ عمله، وإذا فسَدت فسَد سائرُ عمله، وهي الفارقةُ بين المسلم والكافر؛ فإقامتُها إيمانٌ، وإضاعتُها كفرٌ وطغيان، فـ«لَا دِينَ لِمَنْ لا صَلاةَ لَهُ»[1]، «ولَا حَظَّ في الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاة»[2]، مَن حافظ عليها كانت له نورًا في قلبه ووجهه

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٤٧)، والمروزي في «تعظيم قدر الصَّلاة» (٩٣٧)، والخلَّال في «السُّنَّة» (١٣٨٧)، وغيرهم موقوفًا من قول عبد الله بن مسعود ﷺ؛ بلفظ: «مَنْ لَمْ يُصَلِّ؛ فَلَا دِينَ لَه» وحسَّن إسناده الألباني في «الضَّعيفة» (١/ ٣٨٢).

(٢) أخرجه مالك في «الموطَّأ» (٥١)، والمروزي في «تعظيم قدر الصَّلاة» (٩٢٣) وغيرهما من حديث المسور بن مخرمة عن عمر بن الخطَّاب ﷺ في قصَّة طعنه؛ وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٢٠٩).

وقبرِه وحشرِه، وكانَت له نجاةً يومَ القيامة، وحُشر مع الَّذين أنعَم اللهُ عليهم منَ النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين وحسُن أولئكَ رفيقًا؛ ومَن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ يوم القيامة، وحُشر مع فرعونَ وهامانَ وقارونَ وأُبيِّ بنِ خَلَف.

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الصَّلاة»: «جاء في الحديث: «لا حظَّ في الإسْلام لمن تَرَك الصَّلاةَ»، وقَد كان عُمَر بن الخطَّاب يكتبُ إلى الآفاق: «إنَّ أهَمَّ أمورِكم عندِي الصَّلاة، فمَن حفظَها حفظَ دينَه، ومَن ضيَّعها فهو لما سِواها أضيَع، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصَّلاة»، قال: فكُلُّ مستخِفٍّ بالصَّلاة مستَهينٍ بها، فهو مستخِفٌّ بالإسلام مستَهينٌ به، وإنَّما حظُّهم في الإسلام على قَدر حظِّهم منَ الصَّلاة، ورغبتُهم في الإسلام على قَدر رغبتِهم في الصَّلاة، فاعرف نفسَك يا عبد الله؛ واحذَر أن تلقَى اللهَ ولا قَدْر للإسلام عندَك، فإنَّ قَدر الإسلام في قلبك كقَدر الصَّلاة في قَلبك، وقد جاءَ في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الصَّلَاةُ عَمُودُ الدِّين**»[1]، ألستَ تعلم أنَّ الفُسطاط ـ أي الخيمة ـ إذا سَقَط عمودُه سَقَط، ولم يُنتفع بالطُّنُب ولا الأوتَاد، وإذا قام عمودُ الفُسطاط انتُفع بالطُّنُب والأوتَاد؟ وكذلكَ الصَّلاة من الإسلام، فانظُروا ـ رحمكُم الله ـ واعقِلوا، وأحكِمُوا الصَّلاةَ، واتَّقوا اللهَ فيها، وتعاونُوا عليها، وتناصَحوا فيها بالتَّعليم مِن

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، من حديث معاذ ابن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ولفظه: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وعَمُودِهِ وذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله؛ قَالَ: **رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**»، وصحَّحه التِّرمذي والألباني في «الإرواء» (٤١٣).

بعضِكم لبعض، والتَّذكير مِن بعضِكم لبعض منَ الغَفلة والنِّسيان، فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَد أمرَكُم أن تعاونوا على البرِّ والتَّقوى، والصَّلاة أفضَل البرِّ؛ وجاء الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكِمُ الأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْهُ الصَّلَاةُ، وَلَيُصَلِّيَنَّ أَقْوَامٌ لَا خَلَاقَ لَهُمْ**»[1]، فصلاتُنا آخِر دينِنا، وهي أوَّل ما نُسْأل عنه غدًا مِن أعمالنا يومَ القيامة، فليسَ بعد ذهاب الصَّلاة إسلامٌ ولا دينٌ إذا صارت الصَّلاةُ آخرَ ما يذهبُ منَ الإسلام، فكلُّ شيءٍ يذهبُ آخرُه، فقد ذهبَ جميعُه». انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

ولا يختلفُ المسلمون أنَّ تركَ الصَّلاة المفروضَة عمدًا مِن أعظم الذُّنوب وأكبَر الكبائر، وأنَّ إثمَ تاركِها عند الله أعظَم من إثم قَتل النَّفس وأخْذ الأموال، وأعظم من إثم الزِّنا والسَّرقة وشُرب الخمر، وأنَّه متَعرِّضٌ لعُقوبة الله عَزَّوَجَلَّ وسَخَطه وخِزيه في الدُّنيا والآخرة.

ثمَّ إنَّ العلماء اختَلفوا في قتله، وفي كيفيَّة قتله، وفي كُفره، وأقوالهم في هذا وذِكر أدلَّتهم وما احتَجَّ به أهل كلِّ قولٍ مبسوطةٌ في كُتب أهل العلم المعروفَة؛ وليس هذا مجال بيانِ بسطِها وبيانها، إلَّا أنَّ مَن قال من أهل العلم بكُفر تارك الصَّلاة قَد احتَجَّ لذلك بأدلَّةٍ قويَّةٍ من كتاب الله تَعالى وسنَّة رسوله ﷺ، وأقلُّ أحوال هذه الأدلَّة أنَّها تبعثُ في قلب المسلم الخوفَ الشَّديد من التَّفريط فيها وإضاعتِها، وتُحرِّك في نفسه حُبَّ المحافظة عليها، والعناية بها وأدائها في وقتها كما

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٦٦٣٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) نقل هذا الكتاب أبو يعلى في كتابه «طبقات الحنابلة»، وانظر هذا النَّص في (١/ ٣٥٣-٣٥٤).

أوجَب الله، ومِن هذه الأدلَّة:

□ يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [سُورَةُ المُدَّثِّر]؛ فأخبر تعالى أنَّ تارك الصَّلاة مِن المجرمين السَّالكين في سَقر.

□ ويقول تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [سُورَةُ مَرْيَم]، وقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ «غيًّا»: «نهر في جهنَّم خبيث الطَّعم، بعيدَ القَعْر»[1]؛ فيا عِظم مصيبة مَن لقِيَه، ويا شدَّةَ حسرةِ مَن دخَله.

□ ويقول تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ [سُورَةُ التَّوبَة : ١١]؛ فعلَّق أخوَّتَهم في الدِّين بفعل الصَّلاة، فدلَّ ذلكَ على أنَّهم إن لم يفعلوها فليسُوا بإخوانٍ لهم.

□ ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سُورَةُ السَّجْدَة].

□ ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [سُورَةُ المُرسَلات] ذكر هذا ـ تبارك وتعالى ـ بعد قوله: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾، فدلَّ ذلكَ على أنَّ تاركَ الصَّلاةِ مجرمٌ يستَحقُّ العُقوبةَ العَظيمةَ عندَما يلقَى اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ.

---

(١) رواه الطَّبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٨).

□ وقد روى مسلم في «صحيحه»[1] عن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاة**».

□ وروى الإمام أحمد وأهل السُّنن بإسنادٍ صحيح عن عبد الله بن بُرَيدَةَ عن أبيه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وبَيْنَهُم الصَّلَاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[2].

□ وروى الإمام أحمد وابن حبَّان والطَّبراني بإسنادٍ جيِّد من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه ذكر الصَّلاة يومًا فقال: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وبُرْهَانًا ونَجَاةً يَوْمَ القِيَامَةِ، ومَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ ولَا بُرْهَانٌ ولَا نَجَاةٌ، وكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وفِرْعَوْنَ وهَامَانَ وأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ**»[3] ؛ وهنا نكتةٌ بديعةٌ وهي: أنَّ تارك المحافظة على الصَّلاة إمَّا أن يشغله مالُه، أو مُلكه، أو رئاستُه، أو تجارتُه ؛ فمن شغَله عنها مالُه فهو مع قارون، ومن شغَله عنها مُلكه فهو مع فرعون، ومن شغَله عنها رئاستُه فهو مع هامان ، ومن شغَله عنها تجارتُه وأموالُه فهو مع أبيِّ بن خلَف.

□ وروى الإمام أحمد[4] عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا؛ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ الله**» وهو حديثٌ صحيح.

---

(١) برقم (٨٢).

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤١٤٣).

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) برقم (٢٢٠٧٥)، وقال الألباني في «صحيح التَّرغيب» (٥٧٠): حسن لغيره .

□ وروى البخاري في «صحيحه»[1] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا؛ فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ**».

□ وروى الإمام أحمد في «مسنده» ، ومالك في «موطئه»، والنَّسائي في «سننه» بإسنادٍ صحيح عن مِحْجن الأسلمي رضي الله عنه أَنَّه كَانَ فِي مَجْلِسٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأُذِّنَ بِالصَّلاة ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ ومِحْجَنٌ فِي مَجْلِسِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ؟ أَلَسْتَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ؟!**» قال: بلَى، ولكنِّي كنتُ قد صَلَّيتُ في أهلِي، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**إِذَا جِئْتَ؛ فَصَلِّ مَعَ النَّاس وَإِنْ كُنْتَ قَدْ صَلَّيْتَ**»[2].

وقد جاء عن الصَّحابة رضي الله عنهم في هذَا المعنَى آثارٌ كثيرة؛ منها:

□ ما جاء عن عُمَر بن الخطَّاب رضي الله عنه أَنَّه قال: «لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصَّلاة»، وقال رضي الله عنه: «لا إسلامَ لمن ترك الصَّلاة»[3] قالها بمَحضرٍ من الصَّحابة رضي الله عنهم ولم ينكر عليه أحدٌ منهم ، بل قال مثلَ قوله هذا غيرُ واحدٍ من الصَّحابة منهم : معاذ ابن جبل، وعبد الرَّحمن بن عَوف، وأبو هريرة، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهم رضي الله عنهم .

□ وقد روى مسلم في «صحيحه»[4] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «مَن سرَّهُ أن يلقَى اللهَ غدًا مسلمًا؛ فليُحافِظ على هؤلاءِ الصَّلواتِ حيثُ يُنادَى بهنَّ

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٨).

(٢) «المسند» (١٦٣٩٥)، و«الموطَّأ» (٨)، «سنن النَّسائي» (٨٥٧)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (١٣٣٧).

(٣) تقدَّم تخريجها (ص٢١).

(٤) برقم (٦٥٤)، وقد تقدَّم.

ـ أي في المساجد ـ؛ فإِنَّ اللهَ شرعَ لِنَبِيِّكُم ﷺ سننَ الهُدَى، وإنَّهنَّ من سنَنِ الهُدَى، ولو أنَّكُم صلَّيتُم في بيُوتكُم كما يصلِّي هذا المتَخَلِّفُ في بيتِه لتَركتُم سُنَّةَ نَبيِّكُم، ولَو تركتُم سُنَّةَ نبِيِّكُم لضَلَلتُم، وما من رجلٍ يتطهَّرُ فيُحسِنُ الطُّهُورَ، ثمَّ يَعمِدُ إلى مسجدٍ من هذه المساجدِ إلَّا كتبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، ويرفعُهُ بها درجةً، ويَحُطُّ عنهُ بهَا سيِّئةً، ولقد رأَيْتُنَا ـ يعني أصحابَ رسول الله ﷺ ـ وما يتخلَّفُ عنها إلَّا منافقٌ معلُومُ النِّفَاقِ، ولقد كانَ الرَّجُلُ يُؤتَى بِهِ يُهادَى بينَ الرَّجُلَينِ حتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ».

فإذا كان هذا شأن مَن لم يشهد الصَّلاة مع الجماعة؛ يعدُّه الصَّحابة رضي الله عنهم منافقًا معلومَ النِّفاق، فكيف إذًا بالتَّارك لها؟! نسأل الله العافية والسَّلامة.

إنَّ ميزانَ الصَّلاة في الإسلام عظيمٌ، ومنزلتها عالية؛ وقد فرضَها الله تعالى على نبيِّه ﷺ من غير واسطةٍ من فوق سَبع سماواتٍ عندما عُرج به ﷺ إلى السَّماء، وقد ورد فيها غيرُ ما تقدَّم من النُّصوص ما يدلُّ على فضلِها، وعظم قَدرها، وشدَّة عقُوبة تاركها، ومع هذا فقَد خفَّ ميزانُ الصَّلاة عند كثيرٍ من النَّاس؛ فمنهُم من لا يُرى في المسجد أبدًا في جميع الصَّلوات، وهو يسكُن بجوار المسجد، يخرجُ من بيته لأعماله الدُّنيويَّة، ولا يخرج من بيته لأداء الصَّلاة في المسجد!! وهو يسمَع النِّداءَ خمسَ مرَّاتٍ في اليوم واللَّيلة؛ فيقول: سمعنا وعصَينا، والعجيبُ في الأمر أنَّ هذا الرَّجل قد يسكنُ معه في البيتِ رجالٌ من أهله يصلُّون مع المسلمين ولا ينكرونَ عليه، بل يتركونَه في البيت كأنَّه ما فعل شيئًا ينكر، ويُؤاكِلونه، ويُشارِبونه، ويُجالِسونه؛ فأين الغَيرة على الدِّين؟! وأين الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؟! إلَّا مَنْ أراد بذلك نصحهم واستصلاحهم.

ومنهم من تهاوَن بشروطها، وأركانها، وواجباتها؛ فلا يأتي بها على وجهها.

ومنهم مَن يتهاون بالصَّلاة مع الجماعة، وهذا من علاماتِ النِّفاق.

فالواجبُ علينا أن نحافظ على هذه الطَّاعة الجليلة، والعبادة العظيمة الَّتي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشَّهادتين، وأن نحذِّر أشدَّ الحذر من سبيل المجرمين الَّذين إذا قيل لهم: اركعوا؛ لا يركعون.

هذا؛ وليَحذر العَبد أن يتعاظَم في نفسِه، ويعجبَ بحالِه وعملِه، ويغفلَ عن تعظيمِ سيِّدِه ومولاه، وتعظيمِ شعائره فيكون منَ الخاسرين، عن خالد بن عُمَيْر العَدَوي قال: «خطَبَنا عُتْبَة بن غَزْوَان، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ، يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لاَ زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لاَ يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَوَالله! لَتُمْلأَنَّ؛ أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا؛ فَمَا أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِالله أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا وَعِنْدَ الله صَغِيرًا، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلاَّ تَنَاسَخَتْ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا، فَسَتَخْبُرُونَ وَتُجَرِّبُونَ الأُمَرَاءَ بَعْدَنَا» رواه مسلم[(١)].

---

(١) في «صحيحه» برقم (٢٩٦٧).

ونسأل الله ـ جلَّ وعلا ـ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يعيذنا أجمعين من سبيل المجرمين، وأن يوفِّقنا للمحافظة على طاعته، وأن يعيننا على المحافظة على الصَّلاة، اللَّهم اجعلنا من المقيمين الصَّلاة، اللَّهم وفِّقنا للعناية بها وأدائها كما تحبُّ وترضى، يا ذا الجلال والإكرام.



موقفان عظيمان

موقفانِ عظيمان يقفهُما العبد بين يدي ربِّه؛ أحدهما في هذه الحياة الدُّنيا، والآخر يوم يلقى الله ـ جلَّ وعلا ـ يوم القيامة، ويترتَّبُ على صلاحِ الموقف الأوَّل فلاحُ العبد وسعادتُه في الموقف الثَّاني، ويترتَّب على فسادِ حال العبدِ في الموقف الأوَّل ضياعُ أمره وخسرانُه في الموقف الثَّاني.

الموقف الأوَّل: هو هذه الصَّلاة الَّتي كتبها اللهُ ـ جلَّ وعلا ـ على عباده وافترضَها عليهم خمسَ مرَّاتٍ في اليوم واللَّيلة؛ فمَن حافظَ على هذه الصَّلاة، واهتمَّ لها، واعتَنى بها، وأدَّاها في أوقاتِها، وحافظَ على شُروطِها وأركانِها وواجباتِها هانَ عليه الموقفُ يوم القيامة، وأفلحَ وأنجحَ، وأمَّا إذا استهانَ بهذا الموقف؛ فلم يُعْنَ بهذه الصَّلاة، ولم يهتمَّ لها، ولم يواظب عليها، ولم يحافظ على أركانها وشروطها وواجباتها عَسُرَ عليه موقف يوم القيامة.

روى التِّرمذي والنَّسائي وغيرهما عن حُرَيث بن قَبيصَة رَحِمَهُ اللهُ قال: أتيتُ المدينة فسألت اللهَ ـ جلَّ وعلا ـ أن يرزقني جليسًا صالحًا، فجلستُ إلى أبي هريرة

ﷺ، وقلتُ له: يا أبا هريرة! إنِّي سألتُ الله أن يرزقني جليسًا صالحًا؛ فعلِّمني حديثًا سمعتَه من رسول الله ﷺ لعلَّ الله أن ينفعني به! فقال أبو هريرة ﷺ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ؛ فَإِنْ صَلحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ**»[(١)] وهو حديث صحيح.

فتأمَّلوا ـ رعاكم اللهُ ـ ترتُّبَ صلاح الموقف الثَّاني على صلاح الموقف الأوَّل، والخسران في الموقف الثَّاني على الخُسران في الموقِف الأوَّل.

نعم؛ إنَّ مَن ضيَّع هذه الصَّلاة، واستَهان بها وفرَّط في أدائها، والمحافظةِ عليها حكَم على نفسه ـ شاء أم أبى ـ بالخسران المُبين في الموقف الثَّاني يوم يلقى اللهَ ـ جلَّ وعلا ـ، وفي ذلك الموقف يندَمُ ولا ينفعهُ النَّدم.

روى الإمام أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلاَةَ يَوْمًا فَقَالَ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**»[(٢)].

مَن ضيَّع الصَّلاةَ حكَم على نفسه ـ شاء أم أبى ـ أن يحشر يومَ القيامة جنبًا إلى جنب مع صناديد الكفر وأعمدةِ الباطل؛ لـمَّا رضي لنفسه في هذه الحياة أن يشغَلَه عن صلاته لهوٌ وباطلٌ، وزيفٌ وضلالٌ، وفِسقٌ ومُجونٌ، وتتبُّعٌ لأئمَّة الرَّذيلة،

(١) أخرجه الترمذي (٤١٣)، والنَّسائي (٤٦٥)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٢٠).

(٢) تقدَّم تخريجه (ص١٨).

ودعاة الفساد كان حشره يوم القيامة مع شاكلته: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سُورَةُ الصَّافَّاتِ]، فكلٌّ يوم القيامة يُحشر مع شاكلته في هذه الحياة؛ فإنْ كان من أهل الصَّلاة والمحافظين عليها في بيوت الله شَرُفَ يوم القيامة بأن يُحشر مع المصلِّين، بأن يُحشر مع المطيعين، بأن يُحشر مع النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين وحسُن أولئك رفيقًا، ومن أبى على نفسه ذلك بأن ألهاه عن صلاته فِسقٌ وضلالٌ، ولهوٌ وباطلٌ؛ فإنَّه يحشر يوم القيامة مع شاكلته، قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**» قالوا: يا رسولَ الله! ومن يأبَى؟ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[١].

ثمَّ تفكَّر ـ رعاك الله ـ في موقف يوم القيامة، تفكَّر في ذلك الموقف فإنَّك واقفُه ـ إي والله ـ؛ موقفٌ عصيبٌ، موقفٌ مَهولٌ، موقفٌ أتدري ما مقداره؟ إنَّ مقداره خمسون ألفَ سنةٍ، يقف النَّاس يومًا واحدًا مقداره خمسون ألفَ سنةٍ، ماذا يقارن ذلك اليوم بأيَّامك في هذه الحياة؟! لنفرض أنَّك عشتَ ستِّين سنةً، أو سبعين سنةً، أو ثمانين سنةً، أو أقلَّ من ذلك أو أكثر؛ ماذا تُقارِن تلك السَّنواتِ أو السُّنيَّات بذلك الموقف العَصيب؟ ماذا تقارن تلك السُّنيَّات بيومٍ مقداره خمسون ألفَ سنةٍ؟!

ثمَّ لو كان عمرك على سبيل المثال: ستِّين سنةً؛ فقد أمضيتَ ثلثها في النَّوم؛ لأنَّك تنام في اليوم واللَّيلة تقريبًا ثمانيَ ساعاتٍ، والنَّائمُ مرفوعٌ عنه القَلم؛ فمَن عاش ستِّين سنةً فقد نام في حياته عشرين سنةً، ومنها خمسَ عشرة سنةً تقريبًا في

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أوَّل الحياة العبدُ فيها ليس مكلَّفًا؛ فماذا بقي لك في هذه الحياة من سُنيَّاتٍ؟!

فاتَّقِ اللهَ ـ رعاك الله ـ في هذه الصَّلاة، وحافظ على هذا الموقف بين يدي الله ـ جلَّ وعلاـ ، عظِّم ـ رعاك الله ـ هذه الصَّلاة يعظُم أمرُك عند الله، وتعلو مكانتُك عنده ، وإيَّاك وإضاعتَها؛ فإنَّ إضاعتها الخسرانُ المبين.

وقد ثبت في «المستدرك»[1] للحاكم عن أبي هريرة ﵁ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**يَوْمُ القِيَامَةِ عَلَى المُؤْمِنِينَ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ**»، وفي تحديد ذلك بما بين الصَّلاتين تنبيهٌ لمكانة الصَّلاة وأثرها في تحقُّق ذلك.

ألا فلنتَّق اللهَ في صلاتِنا، ولنتَّق اللهَ في هذه الفريضة العظيمة الَّتي كثر استهانة النَّاس بها واستخفافهم بأمرها، وتهاونهم في شأنها، وإضاعتهم لها ولشروطها وأركانها وواجباتها في حالٍ أَسِيفَةٍ، وأمورٍ مؤلمةٍ، وواقعٍ أليمٍ.

وضياعُ الصَّلاة حِرمانٌ من كلِّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرة وخُسرانٌ مبين، فإيَّاك أن تأبى لنفسكَ إلَّا أن تعيش الهوانَ، وتنالَ الذُّلَّ والخسران؛ فإنَّ مَن ضيَّع الصَّلاة حكمَ على نفسه بذلك، ورضي لنفسِه حياةَ الهوان.

نعم؛ أيُّ خيرٍ يُرتجى، وأيُّ فضيلةٍ تُؤمَل إذا ضُيِّعت هذه الصَّلاة الَّتي هي صلةٌ بين العبد وبينَ الله؟!.

قال أحدهم ـ لائمًا ومعاتبًا أحد الخطباء ـ: إنَّك منذ سنواتٍ عديدةٍ تخطُب فينا؛ فماذا قدَّمت؟ فقال له: وأنتم طِوال هذه المدَّة تستمعون؛ فماذا فعلتُم؟

إذا سمع المسلم الموعظةَ، أو سمع الخطبةَ فليُودِعها في قلبه، وليتوجَّه إلى ربِّه

---

(١) (١/ ١٥٨)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٩٣).

ـ جلَّ شأنُه ـ ومولاه أن يوفِّقه للعَمل، وأن يسدِّده، وأن لا يكِلَه إلى نفسه طَرفةَ عينٍ، وإلَّا فكم سمع النَّاس من المواعظ والزَّواجر، ومنهم من لا يزال مع ذلك غافلًا! وعند الله ـ جلَّ وعلا ـ ملتقى الخلائق والعباد، وهناك المجازاةُ والمحاسبة، فليغتَنم العبد وجودَه في هذه الحياة لإصلاح نفسه، وتزكيةِ حاله، وإطابة عمله، والتَّوفيق بيد الله وحده لا شريك له.

اللَّهم إنَّا نسألك بأنَّك أنت الله لا إله إلَّا أنت بأسمائك الحسنى، وصفاتك العليا منًّا منك وتكرُّمًا أن تجعلنا أجمعين من المقيمين الصَّلاة، ومن ذرِّيَّاتِنا يا ربَّ العالمين.

۞۞۞

﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾

أمرٌ إلهيٌّ كريمٌ، وتوجيهٌ ربَّانيٌّ عظيمٌ، أكثرُ النَّاس فيه مفرِّطٌ وله مضيِّعٌ، ألا وهو قول الله ـ تبارك وتعالى ـ في أواخر سورة طه: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾، وهذا أمرٌ من الله ـ جلَّ في علاه ـ لنبيِّه ومصطفاه محمَّد بن عبد الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ، وما أمَر الله ـ جلَّ وعلا ـ به نبيَّه ﷺ فهو أمرٌ لأمَّته ما لم يقم دليلٌ على تخصيص ذلك ، ولا مخصِّص لهذا باتِّفاق أهل العلم ؛ فوَجَب على كلِّ أبٍ وكلِّ وليِّ أمرٍ أن يُعنى بأبنائه عنايةً عظيمةً، وأن يتابعهم متابعةً دقيقةً في شأن الصَّلاة الَّتي هي أعظمُ أركانِ الإسلام بعد الشَّهادتَيْن، بعد أن يكون هو في نفسِه محافظًا عليها معتنيًا بها صابرًا مصطبرًا على إقامتها؛ فيكون في نفسه قدوةً لأبنائه ثمَّ يكون متابعًا لهم حثًّا وحضًّا على أداء هذه الصَّلاة والمحافظة عليها كما أمر الله ـ جلَّ وعلا ـ بذلك.

وهذه الآية الكريمة دلَّت على مقامَين عظيمَين لا بدَّ من تحقيقهما:

الأوَّل: عناية المرء نفسِه بالمحافظة على الصَّلاة والاصطبار على أدائها؛ وذلك أنَّ ثمَّة في هذه الحياة منَ الشَّواغل والصَّوارف والصَّوادّ ما يشغل كثيرًا من النَّاس عن أداء هذه الصَّلاة والمحافظة عليها في أوقاتها؛ فذاك يشغله عن صلاته نومٌ، وآخر يشغله عنها كسلٌ، وثالثٌ يشغله عنها لهوٌ ونحو ذلك، والشَّواغل كثيرةٌ، والمقام مقامٌ يحتاج إلى اصطبارٍ ودأبٍ ومتابعةٍ حتَّى يكون من أهل الصَّلاة والمحافظين عليها، وهو مقام لا يقدر كلُّ أحد أن يَثْبُت عليه للحاجة فيه إلى المداومة والاستمرار بلا كَلَلٍ أو ملل، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ـ عند شرحه لحديث: «أيُّ العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: الصَّلَاةُ على وَقْتِهَا، قال: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ» ـ: «إلَّا أنَّ الصَّبر على المحافظة على الصَّلوات وأدائها في أوقاتها والمحافظة على برِّ الوالدين أمرٌ لازمٌ متكرِّر دائمٌ لا يصبر على مراقبة أمر الله فيه إلَّا الصِّدِّيقون»[1].

الثَّاني: العناية بمَن تحته من أهلٍ وولدٍ بتأديبهم على المحافظة على هذه الصَّلاة والعناية بها، ومتابعتهم في هذا الأمر العظيم.

وفي معنى هذه الآية الكريمة ما رواه أبو داود في «سننه» من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»[2]،

---

(١) «فتح الباري» (٢/ ١١).

(٢) رواه أحمد (٦٧٥٦)، وأبو داود (٤٩٥)، والحاكم (١/ ٣١١)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٦٨).

وهي متابعةٌ متأكِّدةٌ في سنٍّ مبكِّرةٍ، ورعايةٌ للأولاد في وقتٍ مبكِّرٍ من حياتهم؛ فمنذ السَّنة السَّابعة يؤمَر بالصَّلاة ويُحثُّ عليها ويُرغَّب في أدائها، وإذا بلغ العاشرةَ إن فرَّط في هذه الصَّلاة أو أهمل أو ضيَّع فإنَّه يُضرب عليها ضرْبَ تأديبٍ، وليس ضربَ إتلافٍ.

إنَّ مقام الصَّلاة مقامٌ عظيمٌ، وإذا نظر النَّاظر وتأمَّل المتأمِّل في واقع بيوتات كثيرٍ من النَّاس يجد أنَّ التَّفريط في الغالب جاء من قِبَل الآباء؛ فكان الأب في نفسه مضيِّعًا مفرِّطا، فلم يكن قدوةً لأبنائه في المحافظة على هذه الصَّلاة؛ فينشأ مَن تحته من أولادٍ مفرِّطين ومضيِّعين؛ فإنَّ الأبناء ينشؤون على ما نشَّأهم عليه الآباء.

وما جنى أبٌ على أولاده بمثل إهمالهم في شأن الصَّلاة، فالجناية عليهم في هذا الباب جنايةٌ عظيمةٌ، وتأمَّل كلامًا للإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ يخصُّ الآباء في مثل هذا المقام العظيم، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمَن أهمل تعليمَ ولده ما ينفعُه وتركه سدًى؛ فقد أساء إليه غايةَ الإساءة، وأكثرُ الأولادِ إنَّما جاء فسادُهم من قِبَل الآباء وإهمالهم لهم، وتركِ تعليمهم فرائضَ الدِّين وسنَنِه؛ فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسِهم، ولم ينفعُوا آباءَهم كبارًا»[1].

إنَّه مقامٌ جدُّ خطيرٍ يتطلَّب من الأب أن يكون أوَّلًا ناصحًا لنفسه، ثمَّ ناصحًا لمن تحته من أهلٍ وأولادٍ؛ تأديبًا على هذه الصَّلاة، ودعوةً لهم بالمحافظة

(١) «تحفة المودود» (ص ٢٢٩ ـ ط. الأرناؤوط).

عليها والعناية بها.

ويا أيُّها الابن الموفَّق! إذا أكرمك اللهُ ـ جلَّ وعلا ـ بأبٍ يعتني بك في هذه الصَّلاة حثًّا وحضًّا وترغيبًا؛ فإيَّاك ثمَّ إيَّاك أن تنزعج من والدك، أو أن تتضجَّر من متابعته لك؛ فإنَّه ـ والله ـ يعمل على إنقاذك من سَخَط الله، ويعمل على إيصالِك إلى مرضاة الله ـ تبارك وتعالى ـ، فإنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ لا يرضى عنكَ إلَّا إذا كنتَ من أهل هذه الصَّلاة محافظةً عليها وأداءً لها.

وتأمَّل في هذا المقام ثناءَ الله العاطر على نبيِّه إسماعيل ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، قال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم]؛ كان مرضيًّا عند الله؛ لأنَّه بذَلَ الأسبابَ الَّتي يُنال بها رضا الله ـ جلَّ وعلا ـ، وأعظم ذلك العناية بالصَّلاة حفظًا لها ومحافظةً عليها، وتأديبًا للأهل وتربيةً لهم على المحافظة عليها.

وروى الإمام مالك في «موطئه»[1] عن زيد بن أسلم عن أبيه: أنَّ عمرَ بنَ الخَطَّابِ كان يُصلِّي من اللَّيل ما شاء اللهُ، حتَّى إذا كان من آخِر اللَّيل أيقَظ أهلَهُ للصَّلَاة يقولُ لهُم: «الصَّلاةَ الصَّلاةَ»، ثمَّ يتلُو هذِه الآيةَ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

فتأمَّل حال السَّلف الصَّالح ـ رحمهم الله تعالى ورضي عنهم ـ مع هذا التَّوجيه الرَّبَّاني العَظيم، ثمَّ تأمَّل واقعَ وحالَ كثيرٍ من النَّاس في تفريطهم

(١) برقم (٣٨٩)، وصحَّح إسناده الألباني في تخريج «المشكاة» (١/ ٣٩٠).

وإضاعتهم وعدم تأديتهم لهذا الواجب العظيم!!

فما أحوجَنا في هذا المقام العظيم أن نكونَ في أنفسنا محافظين على الصَّلاة، ومتابعين لأولادنا في أدائها، وما أحوجنا إلى صدق الالتجاء إلى الله بأن يجعلنا وأولادَنا من أهل الصَّلاة والمحافظة عليها، ومن أعظم الدُّعاء في هذا المقام دعاءُ إبراهيم الخليل ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة إبراهيم].

نسأل اللهَ ـ جلَّ في علاه ـ أن يوفِّقنا أجمعين للمحافظة على هذه الصَّلاة، وأن يصلح أولادنا، وأن يجعلنا وإيَّاهم من المقيمين الصَّلاة.

۞۞۞

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾

الصَّلاة ميزان الإيمان، وعلى حسب إيمان العبد تكون صلاته وتتِمُّ وتكمُل؛ ومن ذلك أداؤها في أوقاتها المحدَّدة وساعاتها المعيَّنة، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال النَّبيُّ ﷺ: «**صَلِّ الصَّلاة لِوَقْتِهَا**».

ودخول الوقت شرطٌ لوجوب الصَّلاة وشرطٌ لصحَّتها؛ فلا تجب الصَّلاة إلَّا بدخوله، ولا تصحُّ إلَّا بدخوله، وهي أوقاتٌ عظيمةٌ مباركةٌ جاءت الإشارة إليها في مواضع من كتاب الله، وجاءت مبيَّنةً في سنَّة النَّبيِّ ﷺ القوليَّة والفعليَّة بيانًا وافيًا وتناقلها المسلمون عنه وتلقَّوها منه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

قال الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾، وقال الله تعالى في سورة الرُّوم:

(١) برقم (٦٤٨).

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ ، وروى أبو داود والتِّرمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال رسولُ الله ﷺ: «**أَمَّنِي جِبْرِيلُ عليه السلام عِنْدَ البَيْتِ مَرَّتَيْنِ؛ فَصَلَّى بِيَ الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ وَكَانَتْ قَدْرَ الشِّرَاكِ، وَصَلَّى بِيَ العَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ، وَصَلَّى بِيَ المَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِيَ العِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، وصَلَّى بِيَ الفَجْرَ حِينَ حَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَى الصَّائِمِ، فَلَمَّا كَانَ الغَدُ صَلَّى بِيَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ، وَصَلَّى بِي العَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَيْهِ، وَصَلَّى بِيَ المَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَصَلَّى بِيَ العِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلَّى بِيَ الفَجْرَ فَأَسْفَرَ، ثمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا وَقْتُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وَالوَقْتُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الوَقْتَيْنِ**»[1]، وهي أوقاتٌ بيِّنةٌ واضحةٌ ظاهرةٌ معلومةٌ للحاضر والباد، وحين دخولِ هذه الأوقات يُرفع بالنِّداء إليها في مساجد المسلمين ويُنادي مؤذِّن الرَّحمن: «حيَّ على الصَّلاة، حيَّ على الفلاح»، وعند الصَّباح يحمد القَوم السُّرى، وفي المَمات يحمد العبد التُّقى .

وتأمَّل قول جبريل عليه السلام في هذا الحديث: «**هَذَا وَقْتُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ**»؛ وبه يُعلم أنَّ هذه الأوقات الخمسة للصَّلوات أوقاتٌ للصَّلوات عند النَّبيِّين من قبل نبيِّنا محمَّد ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، ممَّا يدلُّ على عظم مكانة هذه الأوقات ورفيع شأنها، وأنَّها أوقاتٌ يستيقظ فيها النَّائم، ويتوقَّف العامل، ويتذكَّر الغافل، ويتَّجه الجميع إلى بيوت الله ـ تبارك وتعالى ـ لأداء هذه الصَّلوات في أوقاتها

(١) تقدَّم تخريجه (ص١٣).

المحدَّدة المعيَّنة.

ومِن إضاعة الصَّلاة تفويتُ أوقاتها وعدمُ أدائها في أوقاتها، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [سُورَةُ مَرۡيَمَ] ؛ قرأ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الآية ثمَّ قال: «لم تكن إضاعتُهم تركَها، ولكن أضاعوا الوقت»[1]، وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [سُورَةُ المَاعُونِ]؛ قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الَّذين يؤخِّرون الصَّلاة عن وقتها»[2].

إنَّ تأخير الصَّلاة عن وقتها أمرٌ جِدٌّ خطير وهو من دلائل رِقَّة الدِّين، وقد جاء في هذا عن نبيِّنا ﷺ أحاديثُ كثيرةٌ إنذارًا للعباد، وتحذيرًا لهم من إضاعة أوقات الصَّلوات والمقام يطول بذكر هذه الأحاديث؛ ومن ذلك:

□ ما رواه مسلم[3] من حديث ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ فَاتَتْهُ العَصْرُ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ**» أي: كأنَّما انتُزع منه أهله وماله؛ فبقي بلا أهلٍ ولا مالٍ، أي فليحذر من تفويتها وإضاعتها حذرَه على ماله وأهله من الضَّياع والذَّهاب.

□ وروى مسلم[4] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**تِلْكَ صَلَاةُ المُنَافِقِ؛ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَي الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا،**

(١) «تفسير الطبري» (١٨/ ٢١٦ـ ط. شاكر).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٣١).

(٣) برقم (٦٢٦).

(٤) برقم (٦٢٢).

لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»، والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ.

فكيف شأننا مع هذه الصَّلاة؟ وما مدى محافظَتنا على أوقاتها؟ لنحاسِب أنفسَنا قبل أن يحاسبَنا الله، ولنزِن أعمالنا قبل أن توزَن يوم لقاه، اللَّهمَّ اجعَلنا أجمعين من المقيمين الصَّلاة، ووفِّقنا وذريَّاتنا لذلك يا ربَّ العالمين.

۞۞۞

الصِّلة بين الصَّلاة ورؤية الله

إنَّ تمام المنَّة وأكمل نعيم أهل الجنَّة رؤيةُ ربِّهم العظيم ذي الجلال والجمال، بهجة قلوبهم، وقرَّة عيونهم، وأعظم هناءَتِهم ولذَّتهم في دار النَّعيم، روى مسلم في «صحيحه»[1] عن صهَيبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ـ قَالَ ـ يَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا! أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ! ـ قَالَ ـ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ؛ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عز وجل**».

وبين رؤية الله والصَّلاة صلةٌ؛ فمَن كان من أهل الصَّلاة فهو حريٌّ بهذا المنِّ العظيم، ومَن كان مضيِّعًا لها فهو حريٌّ بالحِرمان، وأهلٌ للخسران، وقَد دلَّ على هذا الارتباط الكتاب والسُّنَّة.

أمَّا الكتاب؛ فيقول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

---

(١) برقم (١٨١).

بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [سُورَةُ القِيَامَةِ].

فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ منَ النَّضارة، أي حسنةٌ بَهِيَّةٌ مشرِقةٌ مسرورةٌ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تراه عَيانًا بأبصارها، قال الحسَنُ البصري رَحِمَهُ اللهُ: «وحُقَّ لها أن تَنضُر وهي تَنظُر إلى الخالق»[1].

ثمَّ ذكر ـ جلَّ شأنُه ـ القسم الآخر: أهل الوجوه الباسِرة الكالِحة القاطبة، وذكر في جملة أعمالهم تركَ الصَّلاة، فدلَّ على أنَّ أهل القسم الأوَّل ـ أهل النَّضرة والنَّظر إلى الله ـ هُم أهل الصَّلاة.

وأمَّا السُّنة؛ ففي «الصَّحيحين»[2] عن جَرير بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كُنَّا جُلُوسًا عندَ رسُولِ الله ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؛ فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»، يعني العصرَ والفجرَ، ثمَّ قَرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [سُورَةُ طه].

ففي هذا الحديث إشارةٌ إلى الصِّلة بين الصَّلاة والرُّؤية، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وقد قيل في مناسبة الأمر بالمحافظة على هاتين الصَّلاتين عقيب ذكر الرُّؤية: أنَّ أعلى ما في الجنَّة رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ، وأشرف ما في الدُّنيا من الأعمال هاتان الصَّلاتان،

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٧٢).

(٢) البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

فالمحافظة عليهما يرجى بها دخولُ الجنَّة، ورؤيةُ الله ﷻ فيها»[1].

ولا شكَّ أنَّ الصَّحابة لَّما سمعُوا قولَ النَّبيِّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ﷻ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» قد جال في نفوسهم شوقٌ عظيمٌ، وتساؤُلٌ عن العمل الَّذي ينال به هذا المطلب الجليل، ومن تمام نُصح النَّبيِّ ﷺ وكمال بيانه أن أجاب عليه دون أن يُسأل؛ فقال: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»، وفي هذا إشارةٌ منه ﷺ إلى أنَّ رؤية الله ﷻ يوم القيامة لا تُنال بمجرَّد الأماني: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، بل لا بدَّ من عملٍ وجِدٍّ واجتهادٍ وإقبالٍ على الله ـ تبارك وتعالى ـ، ولهذا أرشد النَّبيُّ ﷺ إلى الأسباب الَّتي ينال بها العبدُ رؤيةَ الله ﷻ، فأرشدَ ﷺ إلى صلاتين عظيمتين ـ وهما الفَجر والعَصر ـ، وقد ورد في شأنهما نصوصٌ كثيرةٌ جدًّا تدلُّ على فضلهما، فخصَّهما لما فيهما من عظيم الفضل، ولما فيهما من الثِّقل على كثيرٍ من النَّاس، فمَن سمَت همَّتُه وأعانَه اللهُ ﷻ ووفَّقه للمحافظة على هاتين الصَّلاتين فهو لما سواهما من الصَّلوات أكثر محافظةً، بل إنَّ صلاة الفجر خاصَّةً مفتاح اليوم، ومن أكرمه اللهُ ﷻ بالنُّهوض لهذه الصَّلاة والاهتمام بها أُعِين على الصَّلوات بقيَّة اليوم؛ فإنَّ ما يكون من العبد في الفجر ينسحب على بقيَّة اليوم، كما قال بعض السَّلف: «يومُك مثل جمَلِك؛ إنْ أمسكتَ أوَّله تبعِكَ آخرُه».

وفي قوله: «**أَنْ لَا تُغْلَبُوا**» إشارةٌ إلى أنَّ في الدُّنيا أمورًا كثيرةً تغالب النَّاس على المحافظة على هاتين الصَّلاتين، وما أكثر الصَّوارف في أيَّامنا هذه، فمِن النَّاس

---

(١) «فتح الباري» (٤/ ٣٢٣).

مَن يغلبُه على الصَّلاة الَّتي هي قرةُ عينِ المؤمن شُرب الشَّاي، وبعضُهم يغلبه حديثٌ تافِهٌ، وسمَرٌ ماجِنٌ، ولهوٌ باطلٌ، ومشاهداتٌ رديئةٌ، ومنَ النَّاس مَن يغلبه النَّوم والكسل، وهكذا.

وفي الحديث دلالةٌ على أنَّ الاعتقاد الصَّحيح السَّليم يؤثِّر على عمل العبد وسلوكه؛ فكلَّما ازداد إيمانُه وقويَ يقينُه ازداد استقامةً وجِدًّا وعملًا وبذلًا ومحافظةً على طاعة الله.

ولهذا الارتباط بين الصَّلاةِ ورُؤيةِ الله تعالى يومَ القيامةِ، كان نبيُّنا ﷺ يسأل الله في خاتمة صلاته قبل أن يسلِّم هذه اللَّذَّة العظيمةَ والثَّوابَ الجزيل.

روى النَّسائي في «السُّنن»[1] عن عطاء بن السَّائب، عن أبيه، قال: صلَّى بنا عمَّارُ بن ياسرٍ صلاةً، فأَوجَزَ فيهَا، فقالَ لهُ بعضُ القومِ: لقد خفَّفتَ أو أَوْجَزْتَ الصَّلاةَ، فقال: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ؛ فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ هُوَ أَبِي غَيْرَ أَنَّهُ كَنَى عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ القَوْمَ: **«اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ القَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا**

---

(١) برقم (١٣٠٥)، وصحَّحه الألباني في تخريج «المشكاة» (٢/ ٧٦٩).

بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ».

منَّ الله علينا أجمعين بالمحافظة على الصَّلاة، ونسأله سبحانه لذَّة النَّظر إلى وجهه، والشَّوق إلى لقائه في غير ضرَّاء مضِرَّةٍ، ولا فتنةٍ مضِلَّةٍ.

۞۞۞

ثلاث وصايا نبويَّة عظيمة

لقد جمع الله ـ جلَّ وعلا ـ لنبيِّنا ﷺ بديعَ الكلِم، وجوامع الوصايا، وأكمل القول وأتمَّه وأحسنَه، ومن كان ذا صلةٍ وثيقةٍ بالسُّنة وهديِ خير العباد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فاز في دنياه وأخراه.

وهذه وقفةٌ مع وصيَّةٍ وجيزةٍ وموعظةٍ بليغةٍ مأثورةٍ عن نبيِّنا الكريم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ جمعت الخير كلَّه ووفَّته؛ ففي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن ابن ماجه» وغيرهما من حديث أبي أيُّوب الأنصاري رضي الله عنه أنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: عِظْنِي وَأَوْجِزْ، وفي رواية عَلِّمْنِي وَأَوْجِزْ، فَقَالَ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: **«إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا، وَأَجْمِعِ اليَأْسَ مِمَّا فِي يَدَيِ النَّاسِ»**(1) وهو حديثٌ حسنٌ بما له من شواهد؛ وقد جمع هذا الحديث العظيم ثلاثة وصايا عظيمةً جمعت الخير كلَّه، مَن فهمها وعملَ بها حازَ

(1) رواه أحمد (٢٣٤٩٨)، وابن ماجه (٤١٧١)، انظر: «الصَّحيحة» (٤٠١).

الخير كلَّه في دنياه وأخراه.

الوصيَّة الأولى: وصيَّةٌ بالصَّلاة والعناية بها وحسن أدائها.

والوصيَّة الثَّانية: وصيَّةٌ بحفظ اللِّسان وصيانته.

والوصيَّة الثَّالثة: دعوةٌ إلى القناعة وتعلُّق القلب بالله وحده.

في الوصيَّة الأولى: دعا نبيُّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ من قام في صلاته ـ أي شرع فيها ـ أن يصلِّي صلاةَ مودِّعٍ، ومن المعلوم لدى الجميع أنَّ المودِّع يستَقصي في الأقوال والأفعال ما لا يستَقصي غيرُه، وهذا معروفٌ في أسفار النَّاس وتنقُّلاتهم؛ فمن ينتقل من بلدٍ على أمل العودة له ليس شأنه كشأن من ينتقل منه على نيةِ عدم العودة إليه، فالمودِّع يستقصي ما لا يستقصي غيره، فإذا صلَّى العبد صلاته مستحضرًا أنَّها صلاته الأخيرة، وأنَّه لن يصلِّيَ غيرها جَدَّ واجتهد فيها، وأحسنَ في أدائها، وأتقنَ ركوعَها وسجودَها وواجباتِها ومستحبَّاتِها.

ولهذا ينبغي على عبد الله المؤمن أن يستَحضر هذه الوصيَّة في كلِّ صلاةٍ يصلِّيها؛ يصلِّي صلاته صلاةَ مودِّع، يستَشعر من خلال ذلك أنَّها الصَّلاة الأخيرة، وأنَّه لن يصلِّيَ بعدها، فإذا استشعر ذلك دعاه هذا الاستشعار إلى حسن الأداء، وتمام الإتقان.

ومن أحسنَ في صلاته ساقته إلى كلِّ خيرٍ وفضيلة، ونهته عن كلِّ شرٍّ ورذيلةٍ، وعُمِر قلبُه بالإيمان، وذاق بذلك طعمَ الإيمان وحلاوته، وكانت صلاتُه قرَّةَ عينٍ له، وراحةً وأُنسًا وسعادةً.

والوصيَّة الثَّانية: وصيَّةٌ بحفظ اللِّسان، وأنَّ اللِّسانَ أخطر ما يكونُ على الإنسان، وأنَّ الكلمةَ إذا لم تخرُج فإنَّ صاحبَها يملكها، أمَّا إذا خرجَت من لسانه

ملكَتْه وتحمَّل تَبِعاتِها، ولهذا قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**لَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا**»؛ أي جاهِد نفسَك على منع لسانك من كلِّ كلمةٍ تخشى أن تعتذر منها، وكلِّ كلمةٍ تتطلَّب منك اعتذرًا؛ فإنَّك ما لم تتكلَّم بها فإنَّك تملكها، وأمَّا إذا تكلَّمتَ بها ملكَتكَ.

وفي وصيَّة النَّبيِّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ لمعاذٍ رضي الله عنه قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى، يَا نَبِيَّ اللهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ! وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ـ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ ـ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[1].

فاللِّسان له خطورةٌ بالغةٌ، وقد جاء في حديثٍ ثابتٍ عن رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ؛ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»[2].

وقول نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في هذه الوصيَّة الجامعة: «**لَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا**» فيه دعوةٌ إلى محاسبة النَّفس فيما يقوله الإنسانُ، بأن يتأمَّل فيه؛ فإن وجده خيرًا تكلَّم به، وإن وجده شرًّا امتنَع من قوله، وإن كانَ الَّذي سيقوله مشتَبهًا عليه لا يدري أشرٌّ هو أم خيرٌ؛ كفَّ عنه اتِّقاءً للشُّبهات، حتَّى يستبينَ له أمرُه، ولهذا قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ**

---

(١) رواه أحمد (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٣٦).

(٢) رواه أحمد (١١٩٠٨)، والترمذي (٢٤٠٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥١).

الآخِرِ؛ **فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[1]، وكثيرٌ منَ النَّاس يورِّطون أنفسَهم ورطاتٍ عظيمةً بكلمةٍ يقولونها بألسنَتهم لا يُلقُون لها بالًا، ثمَّ يترتَّب عليها من التَّبِعات في الدُّنيا والآخرة ما لا يحمَدون عاقبتَه، والعاقل منَ النَّاس من يزِن كلامَه، ويصونُ حديثَه، ولا يتكلَّم إلَّا كما قال نبيُّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ بكلامٍ لا يحتاج معه إلى اعتذارٍ.

وقوله: «**بكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا**» يحتَمل: أي عندما تقِف بين يدَي الله، أو تعتذر منه غدًا: أي من النَّاس حينما يطالبونك بتَبِعات كلامك وأقوالك.

وعلى المعنى الأوَّل؛ فله تعلُّقٌ عظيمٌ بالصَّلاة، إذ بأيِّ عذرٍ يلقى المضيِّعُ للصَّلاة ربَّه غدًا، وهي أوَّل ما سيُسأل عنه.

والوصيَّة الثَّالثة؛ فيها دعوةٌ إلى القناعة، وتعليق القلب بالله وحده، واليأس تمامًا ممَّا في أيدي النَّاس، قال: «**وَأَجْمِعِ اليَأسَ مِمَّا فِي يَدَيِ النَّاس**»؛ أي أجمِع قلبَك، واعزِم وصمِّم في فؤادك على اليأس من كلِّ شيءٍ في أيدِي النَّاس؛ فلا تَرْجُه من جهتهم، وليكن رجاؤُك كلُّه بالله وحده ـ جلَّ وعلا ـ، وكما أنَّك بلسان مقالك لا تسأل إلَّا الله، ولا تطلب إلَّا من الله؛ فعليك كذلك بلسانِ حالك أن لا ترجو إلَّا الله، وأن تيأس من كلِّ أحدٍ إلَّا من الله، فتقطع الرَّجاءَ من كلِّ النَّاس، ويكون رجاؤك بالله وحدَه، والصَّلاة صلةٌ بينك وبين ربِّك؛ ففيها أكبرُ عونٍ لك على تحقيق هذا المطلب.

ومَن كان يائسًا ممَّا في أيدي النَّاس عاش حياتَه مهيبًا عزيزًا، ومَن كان قلبه

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

معلَّقًا بما في أيدي النَّاس عاش حياته مهينًا ذليلًا، ومَن كان قلبه معلَّقًا بالله لا يرجو إلَّا الله، ولا يطلب حاجته إلَّا من الله، ولا يتوكَّل إلَّا على الله كفاه اللهُ ﷻ في دنياه وأخراه، والله ـ جلَّ وعلا ـ يقول: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ : ٣٦]، ويقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سُورَةُ الطَّلَاقِ : ٣]، والتَّوفيق بيد الله وحده لا شريك له.

۞۞۞

وجوب صلاة الجماعة

إنَّ من أفضل شعائر الإسلام ومزايا هذا الدِّين العظام صلاةَ الجماعة في المساجد مع المسلمين، وهي واجبةٌ على الرِّجال في الحضر والسَّفر وفي حال الأمن وحال الخوف وجوبًا عينيًّا، والدَّليل على ذلك الكتاب والسُّنة وعملُ المسلمين قرنًا بعد قرنٍ، ومن أجل ذلك عُمِرت المساجد ورُتِّب الأئمَّة والمؤذِّنون، وشُرع لها النِّداء بأعلى صوتٍ «حيَّ على الصَّلاة، حيَّ على الفَلاح»، قال الله تعالى آمِرًا نبيَّه ﷺ أن يُقيم صلاةَ الجماعة في حال الخوفِ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [سورة النساء: ١٠٢]، والأمر للنَّبيِّ ﷺ أمرٌ لأمَّته ما لم يدلَّ الدَّليل على خصوصيَّته به، فدلَّت هذه الآية الكريمة على وجوب صَلاة الجماعة، حيثُ لم يرخِّص للمُسلمين بتركها في حال الخوفِ، فلو كانت غيرَ واجبةٍ لكان أولى الأعذار لتركها عذرَ الخوف؛ فإنَّ صلاةَ الجماعة في حالِ الخوف يُترك فيها كثيرٌ من واجباتِ الصَّلاة ممَّا

يدلُّ على تأكُّد وجوبها، وقد اغتُفر في صلاة الخوف حركاتٌ كثيرةٌ، وتنقُّلاتٌ، وحملُ أسلحةٍ، ومراقبةٌ لتحرُّكات العدوِّ، وانحرافٌ عن القِبلة، كلُّ هذه الأمور اغتُفرت من أجل الحصول على صلاة الجماعة، فهذا من أعظم الأدلَّة على وجوبها وتأكُّدها.

ويقول الله ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة البقرة]؛ فبعد أن أمر ـ جلَّ وعلا ـ بإقامتها أمرَ بأن تؤدَّى مع الرَّاكعين، أي في بيوت الله، ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي أنَّ الواجب على المصلِّي من الرِّجال أن تكون صلاتُه على هذه الحال مع المصلِّين، لا أن يتخلَّف في بيته ويصلِّيها وحده.

ومن الأدلَّة على وجوب صلاة الجماعة ما ورد في «الصَّحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أَثْقَلُ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»[1]، فقد وصف ﷺ في هذا الحديث المتخلِّفين عن صلاة الجماعة بالنِّفاق، وهذا أيضًا وصفهم في القرآن الكريم، قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة النساء] ، وقال الله تعالى عنهم: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة التوبة]، ثمَّ هدَّد ﷺ المتخلِّفين عن صلاة الجماعة بأن يحرِّق عليهم بيوتَهم بالنَّار، وهذه عقوبةٌ شديدةٌ؛ فوصَفَهم بالنِّفاق أوَّلًا، وهدَّدهم

(١) البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١).

بالتَّحريق بالنَّار ثانيًا، ممَّا يدلُّ دلالةً صريحةً على عِظَم جريمة المتخلِّف عن صلاة الجماعة، وأنَّه مستحِقٌّ لأعظم العقوبات في الدُّنيا والآخرة.

وفي قول نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**» تنبيهٌ عظيمٌ إلى أنَّ شهود الصَّلاة في المسجد، والمحافظة عليها، والعناية بها فرعٌ عن اهتمام القلب بذلك، ومعرفته بمكانة أداء الصَّلاة في الجماعة، وأمَّا القلب الغافل اللَّاهي الَّذي لم يعرف قيمة الصَّلاة، ولا مكانةَ أدائِها في المساجد؛ فإنَّ صاحبه سيتخلَّفُ، ولهذا قال: «**وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا**»، فإذا كان الإنسانُ لا يعلم قيمةَ الصَّلاة في المساجد، ومكانتَها ومنزلتَها العليَّةَ في الإسلام؛ فإنَّه سيتخلَّف، ويكثر تخلُّفه عن هذه الصَّلاة.

روى قوام السُّنَّة أبو القاسم الأصبهاني في «التَّرغيب والتَّرهيب»[1] عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «يُكْرَه أن يقومَ الرَّجُل إلى الصَّلاة وهُو كسلان، ولكن يقُوم إليها طلقَ الوجه، عظيمَ الرَّغبة، شديدَ الفَرح، فإنَّه يناجي اللهَ عزَّ وجلَّ، وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أمامَه يغفرُ له ويجيبُه إذا دعاهُ، ويتلو هذه الآية: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٤٢]».

ولقد أعجبني رجلٌ من عوامِّ المسلمين كان يشتكي من تخلُّفِ أبنائه عن الصَّلاة ومحاولته المستمرَّة معهم لأدائها، وفي سياق كلامه قال لي ـ وهو يحرِّك يده ـ: الأمر راجعٌ إلى القَلب ـ ويشير بيده إلى القَلب ـ، يقول: لو عرفَ هؤلاء قيمةَ الصَّلاة ومكانتَها، وعرفَت قلوبُهم ذلك لم يتخلَّفوا عنها؛ ولكنَّ هذا الوَهاء

(١) برقم (١٩٠٤).

والفُتور والتَّواني والتَّراخي والكسل راجعٌ إلى ضَعف القلوب ووهَنِها، وعدم معرفتها بقيمة الصَّلاة ومكانتها.

وفي «صحيح مسلم»[1]: أنَّ رجلًا أعمى قال: يا رسُولَ الله! إنَّه لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ ﷺ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ؛ فَقَالَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَجِبْ**»؛ فهذا رجلٌ أعمى أبدى أعذارًا كثيرةً، ومع هذا لم يُسْقِط عنه ﷺ حضورَ صلاة الجماعة، فما حال الَّذي يتخلَّف عنها من غير عذرٍ وهو مجاورٌ للمسجد، وأصوات المؤذِّنين تخترق بيتَه من كلِّ جانبٍ!! يُدعى فلا يجيب، ويؤمَر فلا يمتثل، ويعصي فلا يتوب.

ومثله حديث ابن أمِّ مكتوم قال: يا رسول الله! إنَّ المدينة كثيرةُ الهوامِّ والسِّباع، فقال رسولُ الله ﷺ: «**تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ؟**» قال: نعم؛ قال: «**فَحَيَّ هَلَا**» رواه أبو داود والإمام أحمد[2].

وقد ثبت في «سنن ابن ماجه»[3] عن النَّبيِّ ﷺ من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ قال: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**»، وهو واضحٌ في وجوب الصَّلاة مع الجماعة؛ بل إنَّ بعض العلماء ذهب أخذًا من هذا الحديث وغيره إلى أنَّ الصَّلاة في غير الجماعة من غير عذرٍ باطلةٌ،

---

(١) برقم (٦٥٣).

(٢) رواه أحمد (١٥٤٩٠)، وأبو داود (٥٥٣)، والنَّسائي (٨٥١)، وصحَّح إسناده الألباني في «صحيح أبي داود» (٥٦٢).

(٣) برقم (٧٩٣)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٠٠).

لقوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**».

والتَّحقيق الَّذي عليه أهل العلم: أنَّ الصَّلاة لا تبطُل، لكنَّ صاحبَها يأثم ويبوء بسخَطٍ من الله ـ جلَّ وعلا ـ لتركه الصَّلاة مع الجماعة مع عدم العذر.

وقد جاء في «السُّنن» أنَّ النَّبيَّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ كان يتفقَّد النَّاس في الصَّلاة، كما في حديث أُبَيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه قال: صلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصُّبح؛ فقال: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**» ـ أي: هل حضَر فلانٌ الصَّلاة؟ ـ، فَقَالُوا: لَا، فَقَالَ: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**»، فَقَالُوا: لَا، فَقَالَ: «**إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ** ـ يعني صلاةَ الفجر وصلاةَ العشاء ـ **مِنْ أَثْقَلِ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»[1].

ولقَد بلغ من اهتمام صدر هذه الأمَّة بصلاة الجماعة ما رواه ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا ـ يعني أصحاب النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ـ وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا ـ أي الصَّلاة ـ إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»[2]؛ فإذا كان الرَّجل منهم لا يستطيع المشي لمرضٍ أو كبَرٍ؛ أخذوا بعَضُدَيه، وساعدوه على المشي حتَّى يقيموه في صفِّ المسلمين للصَّلاة، كلُّ ذلكم؛ لأنَّ قلوبَهم مدركةٌ تمامَ الإدراك مكانةَ الصَّلاة وقيمتَها؛ فلمَّا عظُمَت مكانةُ الصَّلاة في القلوب تحرَّكت تلك الأبدان الضَّعيفَة إلى المساجد مع ضعفها الشَّديد.

ولقد رأينا ذلكَ في الصَّالحين من عباد الله ـ جلَّ وعلا ـ من كبار السِّنِّ؛ يأتي

(١) رواه أبو داود (٥٥٤)، والنَّسائي (٨٤٣)، وحسَّنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٥٦٣).

(٢) تقدَّم تخريجه.

ببِنْيةٍ ضعيفةٍ وجسمٍ ضعيفٍ، وقُوًى ضعيفةٍ يتحامل بشدَّةٍ ليحافظ على الصَّلاة في بيوت الله كما أمره الله، وهذه المحافظة راجعةٌ إلى كبَر القُلوب، وعِظَم ما قام فيها من مكانةٍ للصَّلاة، وقيمةٍ لها؛ أمَّا أولئك أصحابُ الأبدان الصَّحيحة، والقُوى الطَّيِّبة الحسنة المتخلِّفين عن الصَّلاة فهؤلاء ضعُفَ إيمانُ قلوبهم بقيمَة الصَّلاة ومكانتها؛ فضَعُف العملُ تبعًا لذلك.

يقول سعيد بن المسيِّب رحمه الله: «ما فاتَتني صلاةُ الجماعة منذ أربعين سنةً»[1]؛ وليتأمَّل كثيرٌ من النَّاس في اليوم الواحد أو الأسبوع الواحد كم تفوتُه صلاة الجماعة من مرَّةٍ؟!

وفي زماننا هذا أكرم اللهُ عز وجل كبار السِّن بالكراسي المتحركة الَّتي يُصِرُّ بعضُهم على أبنائه البرَرة بأن يدفعوه بها إلى المساجد، محافظةً منه على الصَّلاة ببنيتِه الضَّعيفة؛ ممَّا يذكِّر بحال السَّلف الكِرام.

أليس جديرًا بالشَّباب ـ أهل الصِّحَّة الطَّيِّبة والأجسام القويَّة ـ أن يأخذوا العِبرةَ من هؤلاء الكبار؟! فينتهزوها فرصةً عظيمةً لاستِشعار قيمة الصَّلاةِ ومكانتها، لا أن يعيش هؤلاء الشَّباب معوَّقين عن الخير، محرومين من الفضائل والرِّفعة عند الله ـ جلَّ وعلا ـ.

ومكان صلاة الجماعة هو المساجد الَّتي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [سورة النور: ٣٦]، وهي قرَّة عيون أهل الإيمان، وسَلوة نفوسهم، وبهجة صدورهم، ومَهوى أفئدتهم، وأُنس خواطرهم، وراحتهم وسعادتهم؛ فراحة

(١) رواه ابن سعد في «الطَّبقات» (٥/ ١٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٦٢).

المؤمن وسعادته وهناءته ولذَّته في هذه المساجد الَّتي هي أحبُّ البقاع إلى الله، وهذا أمرٌ يدركه كلُّ مصلٍّ، وكلُّ قاصدٍ للمساجد بإخلاص لله ـ تبارك وتعالى ـ وحُسن تقرُّبٍ إليه، حتَّى إنَّ المتحدِّث يتحدَّث في هذا المقام عن نفسه بأنَّ همومَه تنزاح، وغمومَه تزول، ولا يبقى منها شيءٌ، ويجد راحةً وطمأنينةً.

وشهودُها مع الجماعة في بيوت الله ومساجدِ المسلمين كما أمر بذلك ربُّ العالمين، وكما أمر بذلك رسولُه الكَريم ﷺ شعيرةٌ عظيمَةٌ من شعائر الإسلام ومَعلَمٌ عظيمٌ من معالم الرُّجولة بشهادة ربِّ العالمين؛ قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سُورَةُ النُّور]، هكذا قال ربُّ العالمين؛ فأينَ معاني الرُّجولة ممَّن يتخلَّف عن الصَّلاة مع الجماعة، ويستهين بها، ويقلِّل من شأنها ومكانتها؟!

يقول الإمام ابن القيِّم رحمه الله: «ومَن تأمَّل السُّنَّة حقَّ التَّأمُّل تبيَّن له أنَّ فِعلها في المساجد فرضٌ على الأعيان إلَّا لعارضٍ يجوز معه تركُ الجماعة، فترك حضُور المساجد لغير عذرٍ كتركِ أصل الجماعة لغَير عذرٍ، وبهذا تتَّفق الأحاديث وتجتمع الآثار» انتهى كلامه رحمه الله[1].

وجاء في فتوى اللَّجنة الدَّائمة للإفتاء بالمملكة العربيَّة السُّعوديَّة ـ حرسها الله ـ قولهم: «وأمَّا فعلها جماعةً؛ فواجبٌ وجوبًا عينيًّا، والأصل في ذلك الكتاب والسُّنَّة»[2]، ثمَّ

(١) «الصَّلاة» (ص ١١٨).

(٢) «فتاوى اللَّجنة الدَّائمة» (٧/ ٢٨٤ ـ رقم الفتوى ١٤١).

ذكروا ـ حفظهُم الله ورحمَ مَن ماتَ منهم ـ جملةً من الأدلَّة من الكتاب والسُّنة على ذلك.

وقد ورد في فضل الصَّلاة مع الجماعة أحاديثُ كثيرةٌ لا يسَعُ المقام لذكرها، منها:

□ ما رواه البخاري ومسلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ؛ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ**»[1].

□ وثبت في «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**».

□ وفي «الصَّحيحين» أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ؛ أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**»[3].

والشَّيطان ـ أعاذنا اللهُ منه ـ يحرص كلَّ الحرص على صرف المسلم عن هذه الصَّلاة، لعِلمه أنَّ المسلم إذا انصرف عنها انصرف عن بقيَّة أحكام الدِّين، وضاع منه الخيرُ كلُّه؛ فإنَّه لا دينَ لمن لا صلاةَ له، ولا حظَّ في الإسلام لمن ضيَّع الصَّلاة، كما قال ﷺ: «**آخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ**»[4]، فيأتي لصرف المسلم عنها من

---

(١) البخاري (٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩).

(٢) برقم (٢٥١).

(٣) البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩).

(٤) رواه الخلَّال في «السُّنَّة» (١٣٩١)، والطَّبراني في «الكبير» (٩/ ١٤١)، والحاكم (٤/ ٥٤٩)؛ انظر «الصَّحيحة» (١٧٣٩).

طرقٍ كثيرةٍ ؛ فإن تمكَّن من منْعه منها بالكلِّيَّة فإنَّه يبذُل لذلك كلَّ ما أمكن، وإن لم يتمكَّن من منعِه منها احتال عليه بمنعِه من الصَّلاة مع الجماعة، ثمَّ بمنعِه من أدائها في وقتها، فإن لم يستَطع منْعَه عن الجماعة أغراه بالتَّكاسُل والتَّأخُّر عن الحضُور إلى المسجد حتَّى يُفَوِّتَه بعضَها، ويحرُمَه فضيلةَ السَّبق إلى المسجد، وحضورَ الصَّلاة من أوَّلها.

فاتَّقوا الله ـ رعاكم الله ـ وحافِظوا على هذه الشَّعيرة العظيمة، وأدُّوا هذه الطَّاعة الجليلة في بيوت الله مع الجماعة، كما أمركم اللهُ بذلك في كتابه، وكما أمركم بذلك رسولُه ﷺ في سنَّته لعلَّكم تفلحون.

ونسأل اللهَ ـ جلَّ وعلا ـ بمنِّه وكرمه، ونتوسَّل إليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا أن يجعلنا جميعًا من المقيمين الصَّلاة في المساجد كما أمرنا بذلك ربُّنا، وأن يعيننا على ذلك إنَّه ـ جلَّ وعلا ـ سميع الدُّعاء، وهو أهل الرَّجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

۞۞۞

صلاة الفجر في الجماعة

روى الإمام مالك في «موطَّئِه»[1] عَن ابن شهابٍ، عن أبي بكرِ بنِ سليمانَ ابن أبي حَثْمَةَ أنَّ عمرَ بن الخطَّابِ رضي الله عنه فَقَدَ سليمانَ بن أبي حَثْمَةَ في صلاة الصُّبحِ، وأنَّ عمر بن الخطَّاب غَدَا إلى السُّوق، ومسكَنُ سليمانَ بينَ السُّوق والمسجدِ النَّبويِّ، فمَرَّ على الشِّفَاءِ بنت عبد الله أُمِّ سليمانَ فقال لها: «لَمْ أَرَ سليمانَ في الصُّبح!» فَقَالَتْ: إنَّه بَاتَ يُصَلِّي فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ ـ أي أنَّ تأخُّره عن صلاة الصُّبح كان بسبب قيامه لصلاة اللَّيل فغلبته عيناه فنام؛ فلم يدرك صلاة الصُّبح ـ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «لَأَنْ أَشْهَدَ صَلَاةَ الصُّبْحِ فِي الجَمَاعَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةً».

تأمَّلوا ـ رعاكم الله ـ هذا النُّصح البالغ، والفقه العظيم.

أَمَّا النُّصح: فبتفقُّده رضي الله عنه للنَّاس في هذه الصَّلاة، وملاحظته لهم، وتتبُّعه لمن يتأخَّر عنها نصحًا وتحذيرًا، وأُسوَته رضي الله عنه في ذلك رسولُ الله ﷺ؛ ففي «سنن

(١) برقم (٤٣٢)، وصحَّحه الألباني في تخريج «المشكاة» (١/ ٣٣٨).

أبي داود» عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا الصُّبْحَ فَقَالَ: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا** ـ أي من الأجر ـ **لَأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الرُّكَبِ**»[١].

وأمَّا الفقه العظيم: ففي كلمة عُمَر رضي الله عنه تنبيهٌ لمكانة هذه الفريضة العظيمة ومنزلتها العليَّة؛ حيث قال: «لَأَنْ أَشْهَدَ صَلَاةَ الصُّبْحِ فِي الجَمَاعَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةً»، وشاهد ذلك: ما رواه مسلم في «صحيحه»[٢] عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ؛ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ؛ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ**».

هذه صلاة الفَجر، وهذا شأنها، بل قليلٌ ممَّا يدلُّ على عظيم مكانتها ورفيع ثوابها وجزيل أجرها؛ فما شأنُنا مع هذه الصَّلاة؟ وما حظُّنا من هذه الفريضة؟ وكيف مواظبتُنا عليها؟ وها هو عُمَر رضي الله عنه صاحب تلك الكلمة العظيمة، والمقولة الجليلة ـ المتقدِّم ذكرها ـ في لحظاته الأخيرة من هذه الحياة معظِّمًا لشأن هذه الصَّلاة؛ روى الإمام مالك في «موطَّئه» أنَّ المِسْوَر بن مَخرَمة قال: «دخلتُ على عُمَر من اللَّيلة الَّتي طُعن فيها أُوقِظُه لصلاة الصُّبح ـ وتأمَّل ـ رعاك الله ـ من اللَّيلة الَّتي طُعن فيها أُوقِظُه لصلاة الصُّبح ـ، فقال: نَعَمْ؛ وَلَا حَظَّ فِي الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاة»، وقام ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ وصَلَّى

(١) تقدَّم تخريجه (ص٥٧).

(٢) برقم (٦٥٦).

الفجر وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا»[1].

الله أكبر!! ما أعظم هذه الصَّلاة، وما أجلَّ شأنها في قلوبهم، ولهذا عظُمت المحافظة عليها، واشتدَّت العنايةُ بها مهما كانت الظُّروف، ومهما كانت الأحوال، حتَّى في مُلاقاة الأعداء، وفي صفوف الجهاد، وحتَّى في مثل هذه الحال الَّتي كان عليها عمر وجرحُه يثعب دمًا.

نعم؛ ما حظُّنا معها؟ وكيف شأننا في أدائها؟ إنَّ الواجب علينا أن نحاسب أنفسنا في هذه الفريضة؛ فإنَّ من ضيَّعها فهو لما سواها أضيَع، ولا حظَّ في الإسلام لمن ضيَّع الصَّلاة كما قال ذلكم عمر رضي الله عنه.

إنَّ الخَطب عظيمٌ، والأمرَ جلَلٌ والشَّواغل في هذا الزَّمان كثُرت وتعدَّدت، عاتَب رضي الله عنه من تأخَّر عن صلاة الفجر؛ لأنَّ عيناه غلبتاه بسبب قيامه اللَّيل؛ فماذا يقال لأولئك الَّذين يتأخَّرون عن صلاة الفجر وهم في اللَّيل يسهرون على الحرام، ويسهرون على الآثام، بل قُل يسهَر بعضُهم على المباح؟ إذا كان من يتأخَّر عن صلاة الفجر بسبب سهرٍ في طاعةٍ، وقيام ليلٍ، وقراءةٍ للقرآن فهو آثمٌ في ذلك؛ فكيف بمن يسهَر في مباحٍ، أو يسهَر ـ عياذًا بالله ـ في حرامٍ؟!

وصلاةُ الفَجر تأتي في مُفتَتح اليوم وفي بدايتِه وأوَّلِه، فالمحافظةُ عليها عنوانٌ على فلاح الإنسان وسَعادتِه في يومِه كلِّه، وإضاعتُها إضاعةٌ ـ إي والله ـ لليوم كلِّه، وذهابٌ لبركته.

---

(١) تقدَّم تخريجه (ص٢١).

ولنتأمَّل في هذَا المعنى ما ثبت في «الصَّحيحين»[1] من حديث أبي هريرة ﵁ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ؛ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ؛ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**»؛ هذا شأنُ تارك صلاة الفَجر: نفسُه خبيثةٌ، ويومُه كلُّه في كسلٍ، بينما إذا حافظ على صلاة الفَجر وأدَّاها في وقتها مع جماعة المسلمين كانت عنوانَ البركة والخير والسَّعادة في يومه.

ولنتأمَّل أيضًا ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: «ذُكِرَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حتَّى أَصْبَحَ قَالَ: «**ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ ـ أَوْ قَالَ ـ فِي أُذُنِهِ**»[2]، وقد بيَّن أهل العلم أنَّ الشَّيطان يبول في أذنيه بولًا حقيقيًّا، فما حال من كان هذا شأنُه: يقومُ وأذنُه ممتلئةٌ ببَول الشَّيطان القذِر!! وهي حالُ من يترك صلاة الفجر مستغرِقًا في نومه.

ولنتأمَّل أيضًا ما رواه البخاري في «صحيحه»[3] من حديث سَمُرة بن جُندب ﵁ في سياقٍ طويلٍ فيه ذكر رؤيا النَّبيِّ ﷺ الَّتي رآها، وفيها قال: «**وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَهُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى**» ثمَّ قال في

(١) البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

(٢) البخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٧٧٤).

(٣) برقم (٧٠٤٧).

تمامه: «**أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذي أَتَيْت عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ؛ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاة المَكْتُوبَةِ**»، وجُعِلت العقوبةُ في رأسه لنومه عن الصَّلاة، والنَّوم موضعُه الرَّأس.

ومع خبرٍ آخر وقصَّةٍ عظيمةٍ أخرى لعُمَر بن الخطَّاب رضي الله عنه في شأن الصَّلاة والمحافظة عليها في الجماعة، رواها الحاكم في «مستدركه»(١) عن عبد الله بن جعفَر أنَّ عُمَر بن الخطَّاب رضي الله عنه أتى إِلَى مَنْزِلِ سعيدِ بنِ يَرْبُوعٍ يعوده في فقْدِه لبصره ـ فقَد بصره فأتاه عُمَر في منزله يعودُه ـ فقال له عُمَر: «لَا تَدَعِ الجُمُعَةَ، ولَا الصَّلاة فِي مَسْجِدِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم»، فقَالَ الرَّجل: لَيْسَ لِي قَائِدٌ، قَالَ عُمَر: «نَحْنُ نَبْعَثُ إِلَيْكَ بِقَائِدٍ» فبعثَ إليه بِغُلَامٍ مِنَ السَّبْيِ.

انظر هذا الاهتمام!! وكان سِنُّ سعيد في ذلك الوقت قاربَ المائة، ثمَّ عُمَر يقول له وهو في ذلك السِّنِّ ـ وقد فقَد بصرَه ـ: «لا تترك الجمعةَ، ولا تترك الصَّلاةَ في مسجد النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم»!!

وقد رأيتُ في قريةٍ صغيرةٍ شرق المدينة حبلًا مشدودًا من بيت إلى باب المسجد فسألتُ عنه؛ فقيل: هذا بيتُ رجلٍ كبيرِ سنٍّ كفيفِ البصر ليس له قائدٌ، فيُمسك بهذا الحَبل عند كلِّ صلاةٍ ذهابًا للمسجد، وإيابًا لبيته.

وإذا كان عُمَر رضي الله عنه قال ذلك لرجلٍ فقَد بصرَه وسِنُّه قارب المائة؛ فماذا يقال لمعاشِر الشَّباب الأصِحَّاء الأقوياء المبصِرين؟! ماذا يُقال لهم في الصَّلاة والمحافظة عليها، وقد عظُم التَّفريط، واشتدَّت الإضاعة، وإلى الله وحده المشتكى.

---

(١) (٣/ ٥٥٩).

لنتَّقِ اللهَ ﷻ، ولنَأْخُذ الأمر مأخذ الجِدِّ والعزيمة والاستِعانة بالله ـ تبارك وتعالى ـ، ونتركِ التَّأخير والتَّسويف؛ فكم من شابٍّ أخَّر وسوَّف ومات في تسويفه، ولقي اللهَ تاركًا لصلاته، مضيِّعًا لهذه الفريضة.

إنَّ المحافظةَ على صلاة الفَجر مع الجماعة من علاماتِ صدق الإيمان، ومؤشِّرٌ على قوَّة الإسلام، وإذا كانَ الرَّجلُ لا يشهدها مع الجماعة فهذا برهانٌ على وَهاء إيمانه وضعفِ قلبه، ودليلٌ على استِسلامه لنفسه وهواه، وانهِزامه أمام شهواتِه، وكيف يَهنَأ هذا المتخلِّف بالنَّوم؟ وكيف يتلذَّذ بالفِراش والمسلمون في المساجد في بيوت الله مع قرآن الفَجر يعيشون؟! وإلى لذيذ خِطاب الله يستمعون؟! وفي ربيع جنَّاته يتقلَّبون؟! وكيف يُؤثِر لذَّة النَّوم والفِراش على لذَّة المُناجاة والعبادة، وأداء هذه الطَّاعة العظيمة؟! لا يفعل ذلك إلَّا خاسِرٌ محرُومٌ.

نعوذ بالله من الخُسران، وسبيل أهل الحِرمان.

۞۞۞

تكبيرة الإحرام

روى التِّرمذي في «جامعه»[1] عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى لله أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّار، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**».

هذا حديثٌ جليلُ الشَّأن في بيانِ عظيمِ الثوابِ وجميلِ المآب لَمن حافَظَ على تكبيرة الإحرام، وعُني عنايةً دقيقةً بإدراكها وعدم فَوَاتها، وليسَ المقصودُ بذكر الأربعينَ الاقتِصار عليها ثمَّ الانقطاع بعدَ ذلكَ، وإنَّما الُمراد بذلكَ ـ والله أعلَم ـ أنَّ الملازمةَ إذا استَمرَّت هذه المدَّة المبيَّنة، فالغَالب أنَّ المرءَ يتلذَّذُ بالعبادة ويتذَوَّقُ حلاوتَها، ويذهبُ عنه التَّكلُّفُ، فتحصُل له الاستقَامة والمداومَة بتَوفيق منَ الله عز وجل.

«والأربَعين فيها يتَحوَّلُ الإنسانُ مِن حالٍ إلى حالٍ، كما ثبتَ في «الصَّحيحَيْن»[2] مِن حديث ابن مسعود رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُم فِي بَطْنِ**

---

(١) (٢٤٠)، وحسَّنه الألباني في «الصَّحيحة» (١٩٧٩).

(٢) البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

أمِّه أربَعِينَ يومًا، ثُمَّ يكُونُ عَلَقَةً مثْلَ ذَلكَ، ثمَّ يكُونُ مُضْغَةً مثْلَ ذَلكَ، ثمَّ يُنْفَخُ فيهِ الرُّوحُ»»[1].

وإدراك التَّكبيرة الأولى سنَّة مؤكَّدة، وقولُه في الحديث: «**مَن صَلَّى لله**» أي خالصًا من قلبه لا رياءً ولا سُمعةً، «**التَّكبِيرَة الأُولى**» أي تكبيرة الإحرام مع الإمام، «**بَرَاءَة منَ النَّار**» أي خلاص ونجاة منها، «**وَبَرَاءَةٌ منَ النِّفَاق**» في الدُّنيا من أن يعملَ عملَ المنافق، وفي الآخِرة ممَّا يعذَّب به المُنافق.

وقَد كان للسَّلف الصَّالح ﭫ ورحمهُم مع هذه التَّكبيرة شأن عظيم، ومقَام رفيع:

قال وكيع بن الجرَّاح: «كانَ الأعمشُ قريبًا من سَبعين سنةً لم تَفُته التَّكبيرةُ الأولى، واختَلفْتُ إليه قريبًا من سَبْعينَ؛ فَما رأيتُه يقضِي ركعةً»[2].

وقال غسَّان: «حدَّثني ابنُ أخي بشر بن منصُور، قال: ما رأيتُ عمِّي فاتَتْه التَّكبيرةُ الأُولى»[3].

وقال سَعيد بن المسيِّب: «ما فاتَتْني التَّكبيرةُ الأُولى منذُ خمسينَ سنةً، وما نظرتُ إلى قفَا رجلٌ في الصَّلاة منذُ خمسينَ سنة»[4]، لمحافظَتِه على الصَّفِّ الأوَّلِ.

وقال محمَّد بن سماعة: «مكثتُ أربعين سنةً لم تفُتْني التَّكبيرةَ الأولى معَ الإمام

---

(١) «جامع المسائل» لابن تيمية (٦/ ١٣٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٢٨).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٦٠).

(٤) «حلية الأولياء» (٢/ ١٦٣).

إلَّا يومَ ماتَت فيه أمِّي ففَاتَتْني صلاةٌ واحدةٌ في الجماعة»[1].

وقَال أبو داود: «كانَ إبراهيمُ الصَّائغ رجُلا صَالحًا، قتلَه أبو مُسلم بعَرَنْدَس، قال: وكانَ إذَا رفَعَ المطرَقَةَ فسَمِعَ النِّداءَ سَيَّبَها»[2].

وقال إبراهيم التَّيمي: «إذَا رأيتَ الرَّجُل يتَهاونُ في التَّكبيرة الأولى فاغْسِل يدَكَ منه»[3].

وقَد كانَ جدِّي لوالدي وكانَ من العُبَّاد الصَّالحين ـ رحمه الله وأسكَنَه فردوسَه الأعلى ـ ذا عنايةٍ عظيمةٍ بهذه التَّكبيرة، بل منذ عرفناه وهو كلَّ يومٍ يدخل المسجد قبل أذان العصر، وإذا صلى العشاء خرج، وكذا دخوله المسجد لصلاتي الفجر والظهر، وأذكر أنَّ بعض طلبة العلم سألوا الوالد ـ حفظه الله ـ بحضور الجدِّ ـ عن صحَّة الحديث المتقدِّم فأجاب بأنَّه صحيحٌ، فقال أحدُهم: ومن يستطيع ذلك؟! فلمَّا خرج الجدُّ رَحِمَهُ اللهُ من المجلس ـ وكنتُ أمشي معه ـ؛ أخذ يردِّد: ومن يستطيع ذلك! ويكبِّر متعجِّبًا من قولِ مثلِ هذا، ولاسيما من طالب علمٍ.

وقد ذكر أهلُ العلم أنَّه لا بأس إذا طمِع أن يُدرِك التَّكبيرة الأولى أن يُسرِع شيئًا ما لم يكُن عجلةً تقبُح، جاء الحديث عن أصحاب النَّبيِّ ﷺ أنَّهم كانوا يعجلون شيئًا إذا تخوَّفوا فَوات التَّكبيرة الأولى، وطمعوا في إدراكها.

روى ابن المنذر في «الأوسط»[4] عن رجل من طَيء، عن أبيه، قال: كان

---

(١) «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٩٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٤٦).

(٢) «سنن أبي داود» (٣٢٥٤).

(٣) «حلية الأولياء» (٤/ ٢١٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٦٢).

(٤) (٤/ ١٤٧).

عبد الله ينهانا عن السَّعي إلى الصَّلاة، فخرَجتُ ليلةً، فرأيتُه يشتَدُّ إلى الصَّلاة، فقلت: يا أبا عبد الرَّحمن! كنتَ تنهانا عن السَّعي إلى الصَّلاة؛ فرأيتُك اللَّيلة اشتَددتَ إليها؟! قال: إنِّي بادَرتُ حدَّ الصَّلاة ـ يعني التَّكبيرة الأولى ـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «وهذا يدلُّ على أنَّ هذا الموضع غيرُ داخِلٍ في نهي النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّ أصحابه أعلَم بمعنى ما سمِعُوه منه، فإنَّ ابنَ مسعودٍ من جُملة رواة هذا الحديث عن النَّبيِّ ﷺ، وسياقُ الحديث يدلُّ على أنَّ النَّهي إنَّما هو لمن فاتَته تكبيرةُ الافتتاح؛ لأنَّه في أُناسٍ سمِعَ جَلَبَتَهُم وهو في الصَّلاة، وهذا بعد التَّحريم، وفي الحديث الآخر: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ**» فغالب مَن يكون بعيدَ الدَّار عن المسجد إذا أتى حين يسمَع الإقامة تفوتُه التَّكبيرة، والفَرق بين هذا الموضع وغيره؛ أنَّه جاء فضلٌ عظيمٌ فيمَن يُدرِك حدَّ الصَّلاة، وإدراكُ الحدِّ أن يُدرِك أوَّلَها وهو أن يُدرِك الصَّلاة قبل تكبيرَة الإمام، ليكون خلفَ الإمام إذا كبَّر للافتتاح، وهذا القَدر لا ينجَبِرُ إذا فات؛ لأنَّه يكون مُدرِكًا للرَّكعة ولو أدرك الإمامَ في الرُّكوع، بخِلاف ما إذا فاتَته الرَّكعة؛ فإنَّه يُمكِن أن يقضي ما فاته، وبخِلاف ما إذا فاته حدُّ الصَّلاة؛ فإنَّه قد أيِس من إدراك الحدِّ، فإذا كان هذا المقصُود العظيم الَّذي لا ينجَبِر فواتُه يحصُل بإسراعٍ يسيرٍ لم يُكرَه ذلك»[١].

وبالله وحده التوفيق، وهو وحده المعين لا شريك له.

۞۞۞

(١) «شرح العمدة» (١/ ٥٩٧).

الطُّمأنينة في الصَّلاة[1]

إنَّ من الأخطاء العظيمة الَّتي يقع فيها بعض المصلِّين: تركَ الطُّمأنينة في الصَّلاة، وقد عدَّ النَّبيُّ ﷺ فاعلَ ذلك من أسوء النَّاس سرقةً، كما ثبت في «مسند» الإمام أحمد[2] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «**لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا**»، فعدَّ ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ السَّرقة من الصَّلاة أسوءَ وأشدَّ من السَّرقة من المال.

إنَّ الطُّمأنينة في الصَّلاة ركنٌ من أركان الصَّلاة لا تصحُّ الصَّلاة بدونها، وقد قال ﷺ للمسيء صلاته: «**إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنْ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حتَّى**

(١) خطبة ألقيتُها قبلَ أكثر من خمس وعشرين سنة.

(٢) برقم (١١٥٣٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٨٦).

تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»[1]؛ وقد أخذ أهلُ العلم من هذا الحديث أنَّ مَن لم يُقِم صُلبَه في الرُّكوع والسُّجود فإنَّ صلاتَه غيرُ مجزِئةٍ، وعليه إعادتها، كما قال ﷺ لهذا المسيء في صلاته: «**ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**».

لقد وردت في السُّنَّة أحاديثُ كثيرةٌ جدًّا في الأمر بإقامة الصَّلاة وإتمامها، والتَّحذير من ترك الطُّمأنينة فيها أو الإخلال بأركانها وواجباتها، ومن ذلكَ غير ما تقدَّم:

▫ ما رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﵁: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أَتِمُّوا الرُّكُوعَ والسُّجُودَ**»[2]، والإتمام إنَّما يكون بالطُّمأنينة.

▫ ومنَ الأدلَّة: ما رواه أحمد وابن ماجه بسندٍ صحيحٍ عن عليِّ بن شَيبان قال: صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ فَلَمَحَ بِمُؤْخِرِ عَيْنِهِ رَجُلًا لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ ـ يَعْنِي صُلْبَهُ ـ فِي الرُّكُوعِ والسُّجُودِ، فَلَمَّا قَضَى النَّبيُّ ﷺ الصَّلاةَ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ والسُّجُودِ**»[3]، أي لا يسوِّي ظهرَه عقِب الرُّكوع والسُّجود، فالحديث دليلٌ على ركنيَّة القَومة والجِلسة والطُّمأنينة فيهما.

▫ وروى أبو يعلى في «مسنده»[4] بسندٍ حسنٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى رجلًا لا يُتِمُّ

---

(١) رواه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٢) رواه البخاري (٦٦٤٤)، ومسلم (٤٢٥).

(٣) رواه أحمد (١٦٢٩٧)، وابن ماجه (٨٧١)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٧٧).

(٤) برقم (٧١٨٤)، ورواه الطَّبراني في «الكبير» (٣٨٤٠)، وحسَّنه الألباني في «صفة الصَّلاة» (ص ١٣١).

ركوعَه، وينقُر في سجوده وهو يصلِّي فقال: «**لَوْ مَاتَ هَذَا عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ لَمَاتَ عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ**»، وهذا تهديدٌ شديدٌ يُخشَى على فاعل ذلك من سُوء الخاتمة بأن يموت على غير الملَّة، والعياذ بالله.

□ وروى أحمد وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ بِثَلَاثٍ، وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ...: وَنَهَانِي عَنْ نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيكِ، وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الكَلْبِ، وَالتِفَاتٍ كَالتِفَاتِ الثَّعْلَبِ»[(١)].

□ وروى البخاري في «صحيحه»[(٢)]: أنَّ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه رَأَى رَجُلًا لَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: «مَا صَلَّيْتَ؟» قَالَ وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «لَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ - وفي روايةٍ -: وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ الفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ الله مُحَمَّدًا ﷺ عَلَيْهَا».

□ وروى أحمد وغيره عن طَلق بن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ عز وجل إِلَى صَلَاةِ عَبْدٍ لَا يُقِيمُ فِيهَا صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا**»[(٣)].

□ وروى مسلم في «صحيحه»[(٤)] عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ - أي رسول الله ﷺ - إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ لَمْ يَسْجُدْ حتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا، وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجْدَةِ لَمْ يَسْجُدْ حتَّى يَسْتَوِيَ جَالِسًا».

---

(١) رواه أحمد (٨١٠٦)، وحسَّنه الألباني في «صحيح التَّرغيب» (٥٥٥).

(٢) برقم (٧٩١).

(٣) رواه أحمد (١٦٢٨٣)، وجوَّد إسناده الألباني في «الصَّحيحة» (٢٥٣٦).

(٤) برقم (٤٩٨).

إنَّ الأحاديث المشتَملة على الأمر بالمحافظة على إقامة الرُّكوع والسُّجود والرَّفع منهما، والدَّالة على أنَّ ذلكَ من أركان الصَّلاة الَّتي لا تصحُّ الصَّلاة إلَّا بها كثيرةٌ جدًّا، وهي محفوظةٌ في دواوين السُّنَّة؛ كالبخاري ومسلم والسُّنن الأربعة وغيرها، وقد تقدَّم معنا جملةٌ منها؛ فالواجب على كلِّ مسلمٍ أن يحافظ على ذلك في صلاته تمامَ المحافظة؛ فيُتِمُّ ركوعَه، والرَّفعَ منه، وسجودَه، والرَّفع منه، ويأتي بذلك على التَّمام والكمال في صلاتِه كلِّها على الوجه الَّذي يُرضي الرَّبَّ ـ تبارك وتعالى ـ، عملًا بهدي الرَّسول ﷺ وتمسُّكًا بسنَّته القائل ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[1].

«ومن العَجب أن يكون الرَّجُل في منزله فيسمَع الأذانَ، فيقوم فزِعًا يتهيَّأ ويخرُج من منزله يريد الصَّلاة، ولا يريد غيرَها، ثمَّ لعلَّه يخرج في اللَّيلة المَطِيرة المظلمة، ويتخبَّط في الطِّين، ويخوضُ الماء، وتبتَلُّ ثيابُه، وإن كان في ليالي الصَّيف فليس يأمَن العقارِبَ والهوامَّ في ظُلمة اللَّيل، ولعلَّه مع هذا أن يكون مريضًا ضعيفًا، فلا يدع الخروج إلى المسجد، فيتحمَّل هذا كلَّه إيثارًا للصَّلاة وحبًّا لها، وقصدًا إليها لم يُخرِجه من منزله غيرُها، فإذا دخل مع الإمام في الصَّلاة خدعه الشَّيطان فيُسابِق الإمام في الرُّكوع والسُّجود والرَّفع والخَفض، خدعًا من الشَّيطان له لما يريد من إبطال صلاتِه، وإحباط عملِه؛ فيخرج من المسجد ولا صلاةَ له.

ومن العَجب أنَّهم كلَّهم يستَيقِنون أنَّه ليس أحدٌ ممَّن خلف الإمام ينصرف من صلاتِه حتَّى ينصرف الإمامُ، وكلُّهم ينتظرون الإمامَ حتَّى يسلِّم، وهم كلُّهم ـ إلَّا ما شاء اللهُ ـ يسابقونه في الرُّكوع والسُّجود والرَّفع والخفض خدعًا من الشَّيطان

---

(١) رواه البخاري (٦٣١، ٦٠٠٨، ٧٢٤٦) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

لهم، واستِخفافًا بالصَّلاة منهم واستهانةً بها»[1].

وقد ذهب علماء المسلمين استِنادًا إلى ما تقدَّم من النُّصوص الثَّابتة عن الرَّسول ﷺ وغيرها إلى أنَّ تعديل الأركان في الرُّكوع والسُّجود والقَومة بينهما والقَعدة بين السَّجدتين فرضٌ في الصَّلاة وركنٌ من أركانها، تبطل الصَّلاة بتركه، ويلزمُ مَن وقع في ذلك إعادة الصَّلاة.

والنُّقول عنهم في ذلك كثيرةٌ جدًّا لا يمكن سردُها، ولا قليلٍ منها في هذا المقام، لكن أكتفي بنقلٍ واحدٍ في ذلك عن إمامٍ جليلٍ وهو الإمام القاضي أبو يوسف ـ تلميذ الإمام أبي حنيفة ـ رحمهما الله ـ، فقد قال أبو يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ: «تعديل أركان الصَّلاة ـ وهو الطُّمأنينة في الرُّكوع والسُّجود، وكذا إتمام القيام بينهما، وإتمام القُعود بين السَّجدتين ـ فرضٌ تبطُل الصَّلاة بتركه»، وقد نقله عنه غيرُ واحدٍ من أهل العلم[2].

إنَّ الواجب على كلِّ مسلمٍ أن يحافظ على صلاته وإقامتها تمامَ المحافظة في شروطها وأركانها وواجباتها وسننها، ويأتي بذلك كلِّه على التَّمام والكمال؛ والله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [سُورَةُ المؤمنون]، ويقول تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾ [سُورَةُ البقرة]، ويقول تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [سُورَةُ الماعون]،

(١) من كتاب «الصلاة» للإمام أحمد، وهو في «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٥٣).

(٢) ممَّن نقله عنه الشَّيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهَّاب في كتابه «التَّوضيح عن توحيد الخلاق» (ص ٢٦٠ـ٢٦١).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية ـ في معنى قوله سبحانه: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ـ: «إمَّا عن وقتها الأوَّل فيؤخِّرونها إلى آخره دائمًا أو غالبًا، وإمَّا عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، وإمَّا عن الخشوع فيها والتَّدبُّر لمعانيها؛ فاللَّفظ يشمَل هذا كلَّه، ولكلِّ من اتَّصف بشيءٍ من ذلك قِسطٌ من هذه الآية، ومَن اتَّصف بجميع ذلكَ فقَد تمَّ نصيبُه منها، وكمُل له النِّفاق العمليُّ»[1].

أعاذنا اللهُ من ذلك، ووفَّقنا للعمل بكتابه والتَّمسُّك بسنَّة نبيِّه ﷺ، وجعلنا من المقيمين الصَّلاة، المتمِّين لأركانِها وشروطها وواجباتها، وأن يتقبَّل منَّا صالح القول وسديد العمل، وأن يغفر لنا ما كان من خطأ أو تقصيرٍ أو زللٍ، إنَّه هو الغفور الرَّحيم.

۞۞۞

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٩٣).

النَّهي عن التَّشبُّه بالحيوانات في الصَّلاة

لقد شرَّف الله بني آدَم وكرَّمَهم في خلقِه لهم على أحسَن الهيئاتِ وأكملِها كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سُورَةُ التِّينِ] أي: يمشي قائمًا منتَصِبًا على رجلَيْه، ويأكُل بيَدَيْه ـ وغيرُه منَ الحيوانَات يمشِي على أربَع ويأكُل بفَمِه ـ، وجعَل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، يفقَهُ بذلكَ كلِّه وينتَفع به، ويفرِّقُ بينَ الأشياءِ، ويعرفُ منافعَها وخواصَّها ومضَارَّها في الأمور الدُّنيويَّة والدِّينيَّة.

فينبغي لعَبد الله المؤمن أن يعرفَ هذَا الشَّرَف الَّذي ميَّزَه اللهُ به، وأن يَربَأَ بنفسِه أن يتشبَّهَ بهذه الحيوانَات الَّتي شرَّفَه الله عليها، ولا سيَما في الصَّلاة الَّتي هيَ أشرَف أحوال العَبد، وقَد ثبتَ عن النَّبيِّ ﷺ الأمرُ بمُخالفَة سائر الحيوانات في هيئاتِ الصَّلاة؛ فنهى عن التفاتٍ كالتفاتِ الثَّعلب، وعن افتِراشٍ كافتِراشِ

السَّبُع، وإقعَاءِ كإقعَاءِ الكَلب، ونقْرٍ كنَقْر الغُرَاب، وبُرُوكٍ كبُرُوك البَعِير، ورَفْع الأَيْدِي كأذنَابِ خَيْل شَمْس ـ أي حالَ السَّلام ـ؛ فهَديُ المُصَلِّي مخالفٌ لهدي الحيوانَات، والصَّلاة مُناجاةٌ لله وصِلةٌ بينَ العَبد وبينَ ربِّه وسيِّده ومَوْلاه، فينبغي أن تكونَ على أحسَن هيئاتِ العَبد وأفضَل صفاتِه.

روى أحمد وأبو داود وابن ماجه والنَّسائي عن عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ شِبْلٍ، قَالَ: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ثَلاَثٍ: «**عَنْ نَقْرَةِ الغُرَابِ، وعَنْ فَرْشَةِ السَّبُعِ، وأَنْ يُوطِنَ الرَّجُلُ المكَانَ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ كَمَا يُوطِنُ البَعِيرُ**»[1].

وروى النَّسائي[2] عن أَنَس عن رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ، ولَا يَبْسُطُ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ بَسْطَ الكَلْبِ**».

وروى أبو داود[3] عن أبي هُرَيرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَيَبْرُكُ كَمَا يَبْرُكُ الجَمَلُ**».

وروى أحمد[4] عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ بثلاثٍ، ونَهَانِي عن ثَلاَثٍ: «**أَمَرَنِي بِرَكْعَتَيِ الضُّحَى كُلَّ يَوْم، وَالوِتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ، وصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، ونَهَانِي عَنْ نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيكِ، وإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الكَلْبِ، والْتِفَاتٍ**

---

(١) أحمد (١٥٥٣٢)، وأبو داود (٨٦٢)، والنَّسائي (١١١٢)، وابن ماجة (١٤٢٩)، وحسَّنه الألباني في «الصَّحيحة» (١١٦٨).

(٢) في «السُّنن الكبرى» (٧٠٢)، وأخرجه التَّرمذي (٢٧٦)، وقال: حسن صحيح.

(٣) في «السُّنن» (٨٤١)، وأخرجه أحمد (٨٩٥٥)، والتِّرمذي (٢٦٩)، والنَّسائي (١٠٩٠)، وقال الألباني في «صحيح أبي داود» (٧٨٩): إسناده صحيح.

(٤) في «المسند» (٨١٠٦)، وحسَّنه الألباني في «صحيح التَّرغيب» (٥٥٥).

كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ».

وروى مسلم، وأحمد والنَّسائي عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ، قَالَ: «كُنَّا نُصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَنُسَلِّمُ بِأَيْدِينَا، فَقَال: **مَا بَالُ هَؤُلاَءِ يُسَلِّمُونَ بِأَيْدِيهِمْ، كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ، أَمَا يَكْفِي أَحَدُهُمْ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ**»[1].

و**نَقرةُ الغُراب** أن يمسَّ بأنفِه أو جبهتِه الأرض كنَقْرة الطَّائر ثمَّ يرفَعُه دونَ أن يتمَكَّنَ المصلِّي منَ السُّجود بوضْعِ جبهته على الأرضِ حتَّى يطمئنَّ ساجدًا.

و**افتراشُ السَّبُع** أن يمُدَّ ذراعَيْه على الأرض لا يرفعها، ولا يُجافي مرفقَيْه عن جنبَيْه.

و**إيطانُ البَعير** أن يألَفَ الرَّجل مكانًا معلومًا منَ المسجد لا يصلِّي إلَّا فيه.

و**إقعاءُ الكَلب** أن يلصقَ إليَتَيْه بالأرض، وينصبَ ساقَيْه، ويضَعَ يدَيْه على الأرض.

و**الْتِفَاتٌ كالتفاتِ الثَّعلب** فيه كراهة الالتفات في الصَّلاة، وقَد وردت بالمنع منه أحاديث، وثبتَ أنَّ الالتفاتَ اختلاسٌ من الشَّيطان.

و**الخيلُ الشُّمس** هي الَّتي لا تستَقرُّ، بل تضطربُ وتتحرَّكُ بأذنابها وأرجُلِها، والمراد عدم السُّكون وقتَ السَّلام، وذلك بالإشارة باليدَيْن إلى الجانبين كالخيل الشُّمس.

وقَد جمع هذه الأوصاف الصَّنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

(١) مسلم (٤٣١)، وأحمد (٢٠٨٠٦)، والنَّسائي (١١٨٥)، وفي «الكبرى» (١١٠٩).

إذا نحنُ قُمنـا في الـصَّلاة فإنَّنـا	نُهينـا عـن الإتيـانِ فيهـا بـستَّة
بُـرُوك بعـير والتفـاتٌ كثعلَـب	ونقرُ غُراب في سُجود الفَريضَة
وإقعاءُ كلب أو كبَـسْط ذراعِـه	وأذنابُ خَيْل عند فِعل التَّحيَّـة
وزدنـا كتَـدبيح الحـمار بمَـدِّه	لعُنق وتصويبٍ لـرأسٍ بركعَـة

يشير بما زاد إلى حديث أبي سَعيد، وفيه: «**وَإِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يُدَبِّحْ تَدْبِيحَ الحِمَارِ، وَلْيُقِمْ صُلْبَهُ**»[١]، وتدبيحُ الحمار: هُو خفضُه لرأسِه، فلا يُدبِّح المصلِّي عند الرُّكوع بأنْ يخفِضَ رأسَه حالَ ركوعِه، لكنَّ الحديثَ ضعيفٌ، ويُغني عنه ما ثبت في «صحيح مسلم»[٢] أنَّ النَّبيَّ ﷺ «**إِذَا رَكَعَ لَمْ يُشْخِصْ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُصَوِّبْهُ**».

وعلى كلٍّ؛ فإنَّ الإسلامَ جاء مكرِمًا للمُسلم مُعْليًا مِن شأنِه بإبعادِه عن هذِه الهيئاتِ تَكْرِمَةً له، ولاسيَما في هذه الحال الشَّريفَة الفاضِلَة ـ قيامه بين يدَي الله تبارك وتعالى راكعًا ساجدًا خاضعًا متذلِّلًا ـ، فعلى المُسلم أن يربأَ بنفسِه أن يتَّصِف بصفاتِ هذه الحيواناتِ، ويبتَعد بنفسِه عن ذلكَ، والله وحدَه الموفِّق والمُعين لا شريكَ له.

۞۞۞

(١) أخرجه البيهقي في «السُّنن الكبرى» (٢/ ١٢١).

(٢) برقم (٤٩٨) من حديث عائشة ﵂.

أَرِحْنَا بالصَّلاة

الصَّلاة قرَّة عيون المحبِّين في هذه الدُّنيا لما فيها من مُناجاة مَن لا تَقَرُّ العُيون، ولا تطمئنُّ القُلوب، ولا تسكنُ النُّفوس إلَّا إليه، والتَّنعُّم بذكره والتَّذلُّل والخضوع له والقُرب منه، ولا سيما في حال السُّجود، وتلك الحال أقرب ما يكونُ العبد من ربِّه فيها، ومِن هذا قولُ النَّبيِّ ﷺ: «**يا بلال! أرِحْنَا بالصَّلاةِ**»[1] فأعلمَ بذلكَ أنَّ راحتَه في الصَّلاة، كما أخبرَ أنَّ قرَّة عينِه فيها؛ فأينَ هذا مِن قولِ القائلِ: نصلِّي ونستَريح من الصَّلاة؟!

فالمحبُّ راحتُه وقرَّةُ عينه في الصَّلاة، والغافلُ المُعرِض ليس له نصيبٌ مِن ذلكَ، بل الصَّلاة كبيرةٌ شاقَّةٌ عليه، إذا قامَ فيها كأنَّه على الجمر حتَّى يتخلَّصَ منها، وأحبُّ الصَّلاة إليه أعجلُها وأسرَعُها، فإنَّه ليس له قرَّة عين فيها، ولا لقلبه راحةٌ بها، والعبدُ إذا قرَّت عينُه بشيء واستراحَ قلبُه به، فأشَقُّ ما عليه مفارقتُه،

---

(١) رواه أحمد (٢٣٠٨٨)، وأبو داود (٤٩٨٥)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٩٢).

والمتكلِّفُ الفارغ القَلب من الله والدَّار الآخرة المبتَلَى بمحبَّة الدُّنيا أشقُّ ما عليه الصَّلاة، وأكرَهُ ما إليه طولها مع تفرُّغِه وصحَّتِه وعدم اشتغالِه.

وممَّا ينبغي أن يُعلَم أنَّ الصَّلاة الَّتي تقرُّ بها العَين ويستَريح بها القَلب هي الَّتي تجمع ستَّةَ مشاهد:

ـ **المشهد الأوَّل: الإخلاص**: وهو أن يكونَ الحامل عليها والدَّاعي إليها رغبة العَبد في الله ومحبَّته له، وطلب مرضاته والقُرب منه، والتَّودُّد إليه وامتثال أمرِه، بحيث لا يكون الباعثُ له عليها حظًّا من حظوظ الدُّنيا ألبتَّةَ، بل يأتي بها ابتغاءَ وجه ربِّه الأعلى محبَّةً له، وخوفًا من عذابه، ورجاءً لمغفرته وثوابه.

ـ **المشهد الثَّاني: مشهد الصِّدق والنُّصح**: وهو أن يفرِّغَ قلبَه لله فيها ويستَفرغ جهدَه في إقباله فيها على الله، وجمع قلبِه عليها، وإيقاعِها على أحسنِ الوجوه وأكملِها ظاهرًا وباطنًا، فإنَّ الصَّلاة لها ظاهر وباطن.

فظاهرُها الأفعال المشاهدَة، والأقوال المسموعة، وباطنُها الخشوع والمراقبة، وتفريغ القلب لله والإقبال بكلِّيَّتِه على الله فيها بحيثُ لا يلتفتُ قلبُه عنه إلى غيره، فهذا بمنزلَة الرُّوح لها، والأفعال بمنزلة البَدن؛ فإذا خلَت من الرُّوح كانت كبَدَن لا روحَ فيه؛ أفلا يستحي العبدُ أن يواجهَ سيِّدَه بمثل ذلكَ، ولهذا تُلفُّ كما يُلَفُّ الثَّوبُ الخَلَق ويُضرب بها وجهُ صاحبِها، وتقول: ضيَّعَك الله كما ضيَّعتَني.

والصَّلاةُ الَّتي كَمُل ظاهرُها وباطنُها تصعَد ولها نورٌ وبرهانٌ كنور الشَّمس حتَّى تُعرض على الله فيرضَاها ويقبَلها، وتقول: حفظَكَ الله كما حفظْتَني.

ـ **المشهد الثَّالث: مشهد المتابعة والاقتداء**: وهو أن يحرصَ كلَّ الحرص على

الاقتداءِ في صلاتِه بالنَّبيِّ ﷺ، ويصلِّي كما كان يصلِّي، ويُعرض عمَّا أحدثَ النَّاس في الصَّلاة منَ الزِّيادة والنُّقصان والأوضاع الَّتي لم ينقل عن رسُول الله ﷺ شيءٌ منها، ولا عن أحدٍ من أصحابِه رضي الله عنهم.

ـ **المشهد الرَّابع: مشهد الإحسان**: وهو مشهد المُراقبة؛ وهو أن يعبُد اللهَ كأنَّه يراه، وهذا المشهد إنَّما ينشَأ من كمال الإيمانِ بالله وأسمائه وصفاتِه حتَّى كأنَّه يرى اللهَ ـ سبحانه ـ فوقَ سماواتِه مستَويًا على عرشِه، يتكلَّم بأمرِه ونهيِه، ويدبِّر أمرَ الخليقَة، فينزلُ الأمر من عندِه ويصعدُ إليه، وتُعرض أعمالُ العبادِ وأرواحُهم عند الموافاة عليه، فيشهد ذلكَ كلَّه بقلبِه ويشهدُ أسماءَه وصفاتِه، ويشهد قيُّومًا حيًّا سميعًا بصيرًا عزيزًا حكيمًا آمرًا ناهيًا، يحبُّ ويبغضُ ويرضَى ويغضبُ، ويفعلُ ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهُو فوقَ عرشه لا يخفَى عليه شيء من أعمال العبادِ، ولا أقوالهم، ولا بواطنهم، بل يعلم خائنةَ الأعين وما تُخفي الصُّدور.

ومشهد الإحسان أصلُ أعمال القُلوب كلِّها، فإنَّه يُوجب الحياءَ والإجلالَ والتَّعظيم والخشيةَ والمحبَّةَ والإنابةَ والتَّوكُّل والخضُوع لله ـ سُبحانه ـ والذُّلَّ له، ويقطع الوسواسَ وحديثَ النَّفس، ويجمعُ القلبَ والهمَّ على الله.

فحظُّ العَبد من القُرب من الله على قَدر حظِّه من مقام الإحسَان، وبحَسْبه تتفاوتُ الصَّلاة حتَّى يكونَ بين صلاة الرَّجُلين منَ الفَضل كما بينَ السَّماء والأرض، وقيامُهما وركوعُهما وسجودُهما واحد.

ـ **المشهد الخامس: مشهد المنَّة**: وهو أن يشهَد أنَّ المنَّةَ لله ـ سبحانه ـ كونُه أقامَه في هذا المقام، وأهَّلَه له، ووفَّقَه لقيام قلبه وبدنه في خدمتِه، فلولا الله ـ سبحانه ـ لم

يكُن شيء من ذلكَ، كما كان الصَّحابة يحدون بينَ يدَي النَّبيِّ ﷺ؛ فيقولون:

واللهِ لـــولا الله مـــا اهتَـــدينا   ولا تـــصَدَّقنا ولا صَـــلَّيْنا

قال الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ]؛ فالله ـ سُبحانه ـ هو الَّذي جعَل المسلمَ مسلمًا، والمصلِّي مصلِّيًا، كما قال الخليل: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البَقَرَة: ١٢٨]، وقال: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ ﴾ [إبرَاهِيم: ٤٠].

فالمنَّة لله وحدَه في أن جعَل عبدَه قائمًا بطاعتِه، وكان هذا مِن أعظم نعمِه عليه؛ وقال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ﴾ [النَّحل: ٥٣]، وقال: ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ].

وهذَا المشهَد من أعظم المشاهد، وأنفعِها للعَبد وكلَّما كانَ العبدُ أعظمَ توحيدًا كانَ حظُّه من هذَا المشهَد أتم.

وفيه منَ الفَوائد: أنَّه يحولُ بينَ القَلب وبينَ العُجب بالعَمل ورؤيتِه، فإنَّه إذا شَهد أنَّ اللهَ ـ سُبحانه ـ هُو المانُّ به، الموفِّق له، الهادي إليه، شغَله شُهودُ ذلكَ عن رؤيتِه والإعجابِ به، وأن يصُولَ به على النَّاس، فيُرفَع من قلبه فَلا يعجَب به، ومن لسانه فلا يمُنَّ به ولا يتكثَّر به، وهذا شأن العَمل المرفوع.

ـ **المشهَد السَّادس: مشهد التَّقصير**: وأنَّ العبدَ لو اجتَهد في القيام بالأمر غايةَ الاجتهاد، وبذلَ وسعَه فهُو مقَصِّرٌ، وحقُّ الله ـ سبحانه ـ عليه أعظَم، والَّذي ينبغي له أن يقابَل به من الطَّاعة والعُبوديَّة فوقَ ذلكَ بكثير، وأنَّ عظمتَه وجلالَه

ـ سبحانه ـ يقتضي من العبوديَّة ما يليق بها.

وإذا شهد العبدُ من نفسه أنَّه لم يوفِّ ربَّه في عبوديَّته حقَّه ولا قريبًا من حقِّه علمَ تقصيرَه، ولم يسَعْه مع ذلكَ غيرَ الاستغفار والاعتِذار مِن تقصيرِه وتفريطِه، وعدم القيام بما ينبغي له مِن حقِّه.

وملاكُ هذا الشَّأن أربعة أمور: نيةٌ صحيحةٌ، وقوةٌ عاليةٌ يقارنُها رغبةٌ ورهبةٌ. فهذه الأربعة هي قواعد هذا الشَّأن، ومهما دخَل على العبد منَ النَّقص في إيمانه وأحوالِه وظاهرِه وباطنِه، فهو مِن نقصانِ هذه الأربَعَة أو نقصان بعضِها.

فليتأمَّل اللَّبيبُ هذه الأربعَة الأشياء، وليَجْعَلها سيرَه وسلوكَه ويبني عليها علومَه وأعمالَه وأقوالَه وأحوالَه، فما نتجَ مَن نتج إلَّا منها، ولا تخلَّف مَن تخلَّفَ إلَّا مِن فَقْدها؛ والله أعلَم، والله المستَعان، وعليه التُّكلان، وإليه الرَّغبة، وهو المسؤول بأن يوفِّقَنا وسائرَ إخواننا من أهل السُّنَّة لتحقيقِها علما وعمَلًا إنَّه وليُّ ذلكَ، والمانُّ به، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل[1].

۞۞۞

(١) «رسالة ابن القيِّم إلى أحد إخوانه» (٥٩ـ٧١) باختصار.

﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾

هذا تنويهٌ من الله بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأيِّ شيءٍ وصلُوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك الحثُّ على الاتِّصاف بصفاتهم، وفي مقدِّمة هذه الصِّفات: الخشوع في الصَّلاة؛ وهو حضور القَلب بين يدي الله تعالى، مستحضِرًا لقُربه، فيسكُن لذلك قلبه، وتطمئِنُّ نفسه، وتسكُن حركاتُه، ويقِلُّ التفاتُه، متأدِّبًا بين يدي ربِّه، مستحضِرًا جميع ما يقولُه ويفعلُه في صلاته، من أوَّل صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوَساوِس والأفكار الرَّدِيَّة، وهذا رُوح الصَّلاة ولبُّها والمقصود منها، وهو الَّذي يُكتَب للعبد، فالصَّلاة الَّتي لا خُشوعَ فيها، ولا حضورَ قلبٍ كالجسد الَّذي لا رُوح فيه.

وههنا عجيبةٌ من عجائب الأسماء والصِّفات تحقِّق الخشوع في الصَّلاة، ولا تحصُل إلَّا لمن تفقَّه قلبُه في معاني القرآن، وخالط بشاشة الإيمان بها قلبه؛ بحيث يرى لكلِّ اسمٍ وصفةٍ موضعًا من صلاته ومحلًّا منها[1].

(١) هذا وما بعده منقول بشيء من التَّصرُّف والاختصار من «كتاب الصَّلاة» لابن القيِّم (ص ١٤١ وما بعدها).

فإنَّه إذا انتصب قائمًا بين يدي الرَّبِّ ـ تبارك وتعالى ـ؛ شاهد بقلبه قيُّومِيَّته، وإذا قال: «الله أكبر» شاهَد كبرياءَه؛ وإذا قال: «**سبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِك، تبارك اسمُك وتعالى جَدُّك، ولا إلهَ غيرُك**» شاهدَ بقلبه ربًّا منزَّهًا عن كلِّ عيبٍ سالـمًا من كلِّ نقصٍ، محمودًا بكلِّ حمدٍ، فحمدُه يتضمَّن وصفَه بكلِّ كمالٍ، وذلك يستلزم براءَته من كلِّ نقصٍ.

تبارك اسمُه؛ فلا يُذكَر على قليلٍ إلَّا كثَّره، ولا على خيرٍ إلَّا أنماهُ وبارك فيه، ولا على آفةٍ إلَّا أذهبَها، ولا على شيطانٍ إلَّا ردَّه خاسِئًا داحِرًا.

وتعالى جَدُّه: أي ارتفعت عظمتُه، وجلَّت فوق كلِّ عظمةٍ، وعلا شأنُه على كلِّ شأنٍ، وقَهَر سلطانُه على كلِّ سلطانٍ، فتعالى جَدُّه أن يكون معه شريكٌ في مُلكِه، وربوبيَّتِه، أو في إلهيَّته، أو في أفعاله، أو في صفاته.

وإذا قال: «**أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم**»؛ فقد آوى إلى رُكنه الشَّديد، واعتصم بحولِه وقوَّته من عدوِّه الَّذي يريد أن يقطعه عن ربِّه، ويُباعِدَه عن قُربه.

وإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾؛ وقف هُنَيهةً يسيرةً ينتظر جوابَ ربِّه له بقوله: «**حَمِدَنِي عَبْدِي**»، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾؛ انتظر الجواب بقوله: «**أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي**»، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾؛ انتظر جوابَه: «**يمَجِّدُنِي عَبْدِي**»، فيا لذَّةَ قلبِه، وقرَّةَ عينه، وسُرورَ نفسه بقول ربِّه: «**عَبْدِي**» ثلاثَ مرَّاتٍ، فوالله لولا ما على القلوب من دُخان الشَّهوات، وغَيم النُّفوس لاستُطِيرَت فرحًا وسرورًا بقَول ربِّها وفاطِرها ومعبودها: «**حَمِدَنِي عَبْدِي**» و«**أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي**» و«**مَجَّدَنِي عَبْدِي**»(١).

---

(١) الحديث رواه مسلم (٣٩٥).

ثمَّ يكون لقلبه مجالٌ في شهود هذه الأسماء الثَّلاثة الَّتي هي أصول الأسماء الحسنى، وهي: الله والرَّب والرَّحمن:

فشاهَد قلبُه من ذكر اسم الله ـ تبارك وتعالى ـ إلهًا معبودًا موحَّدًا مَخُوفًا، لا يستحقُّ العبادةَ غيره، ولا تنبغي إلَّا له، قد عنَت له الوجوهُ، وخضَعت له الموجوداتُ، وخشَعت له الأصواتُ، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [سُورَةُ الإِسۡرَاءِ]، ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ [سُورَةُ الرُّومِ].

وشاهد مَن ذكر اسمه «ربِّ العالمين»: قيُّومًا قام بنفسه، وقام به كلُّ شيءٍ؛ فهو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بخيرها وشرِّها، قد استوى على عرشه، وتفرَّد بتدبير مُلكِه؛ فالتَّدبير كلُّه بيديه، ومصير الأمور كلِّها إليه، فمَراسيم التَّدبير نازلةٌ من عنده على أيدي ملائكته بالعَطاء والمنع، والخفض والرَّفع، والإحياء والإماتة، والتَّولية والعَزل، والقَبض والبَسط، وكَشف الكُروب، وإغاثة الملهُوفِين، وإجابة المضطَرِّين ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾، لا مانعَ لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا معقِّب لحكمه، ولا رادَّ لأمره، ولا مبدِّل لكلماته، تعرُج الملائكة والرُّوح إليه، وتُعرَض الأعمال أوَّل النَّهار وآخِره عليه فيقدِّر المقادير، ويوقِّت لها المواقيت، ثمَّ يسوق المقادير إلى مواقيتِها، قائمًا بتدبير ذلك كلِّه، وحفظه، ومصالحه.

ثمَّ يشهد عند ذكر اسم الرَّحمن ـ جلَّ جلاله ـ ربًّا مُحسِنًا إلى خلقه بأنواع الإحسان، مُتحَبِّبًا إليهم بصُنوف النِّعم، وسع كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا، وأوسعَ كلَّ

مخلوقٍ نعمةً وفضلًا؛ فوسِعت رحمتُه كلَّ شيءٍ، وسَعَت نعمتُه إلى كلِّ حيٍّ؛ فبلغت رحمتُه حيثُ بلغ علمُه، فاستَوى على عرشه برحمته، وخلق خلقَه برحمته، وأنزل كتُبَه برحمته، وأرسل رسُلَه برحمته، وشرع شرائعَه برحمته، وخلق الجنَّة برحمته، والنَّار أيضًا برحمته؛ فإنَّها سَوطُه الَّذي يسوق به عبادَه المؤمنين إلى جنَّته، ويطهِّر بها أدران الموحِّدين من أهل معصيته، وسِجنُه الَّذي يسجُن فيه أعداءه من خليقته.

فتأمَّل ما في أمره ونهيه ووصاياه ومواعظه من الرَّحمة البالغة والنِّعمة السَّابغة، وما في حَشوِ مخلوقاتِه من الرَّحمة والنِّعمة؛ فالرَّحمة هي السَّبب المتَّصل منه بعباده، كما أنَّ العبوديَّة هي السَّبب المتَّصل به منهم؛ فمنهم إليه العبوديَّة، ومنه إليهم الرَّحمة.

ومن أخصِّ مشاهد هذا الاسم: شهودُ المصلِّي نصيبَه من الرَّحمة الَّذي أقامه بها بين يدي ربِّه، وأهَّلَه لعبوديَّته ومناجاتِه، وأعطاه، ومنع غيره، وأقبلَ بقلبه، وأعرض بقلب غيره، وذلك من رحمتِه به.

فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾؛ فهنا شهِد المجد الَّذي لا يليق بسِوى الملِك الحقِّ المُبين، فيشهَدُ مَلِكًا قاهِرًا، قد دانَت له الخليقةُ، وعنَت له الوجوهُ، وذلَّت لعظمته الجبابِرةُ، وخضع لعِزَّته كلُّ عزيزٍ، فيشهد بقلبه:

(مَلِيكًا) عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ (مُهَيْمِنًا) لِعِزَّتِه تعنُو الوجوه وتسجُد

وإذا لم يُعطِّل حقيقةَ صفة المُلك أطلَعَتْهُ على شهود حقائق الأسماء والصِّفات الَّتي تعطيلُها تعطيلٌ لمُلكِه، وجحدٌ له؛ فإنَّ الملِكَ الحقَّ التَّامَّ المُلْك لا يكون إلَّا حيًّا قيُّومًا سميعًا بصيرًا مدبِّرًا قادرًا متكلِّمًا آمرًا ناهيًا مستويًا على سريرِ مملَكتِه، يُرسِل

رُسُله إلى أقاصي مملكتِه بأوامره؛ فيرضَى على مَن يستحقُّ الرِّضا، ويثيبُه ويُكرِمه ويُدنيه، ويغضَب على مَن يستحقُّ الغضبَ، ويعاقبه ويُهِينُه ويُقصِيه، فيعذِّب مَن يشاء، ويرحم مَن يشاء، ويعطي من يشاء، ويقرِّب من يشاء، ويُقصي مَن يشاء، له دار عذابٍ وهي النَّار، وله دار سعادةٍ وهي الجنَّة.

فمَن أبطل شيئًا من ذلك، أو جحده، وأنكر حقيقتَه؛ فقد قدح في مُلكه ﷻ ونفى عنه كمالَه وتمامَه، وكذلك مَن أنكر عمومَ قضائه وقدره؛ فقد أنكر عموم مُلكِه وكماله.

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾؛ ففيهما سِرُّ الخلق والأمر، والدُّنيا والآخرة، وهي متضمِّنةٌ لأجلِّ الغايات، وأفضل الوسائل؛ فأجَلُّ الغاياتِ عبودِيَّتُه، وأفضَل الوسائل إعانتُه؛ فلا معبودَ يستحقُّ العبادةَ إلَّا هو، ولا مُعينَ على عبادتِه غيره، فعبادته أعلى الغاياتِ، وإعانتُه أجَلُّ الوسائل.

وقد اشتملت هذه الكلمةُ على نوعَي التَّوحيد؛ وهما توحيدُ الرُّبوبيَّة، وتوحيدُ الإلهيَّة، وتضمَّنت التَّعبُّد باسم «الرَّبِّ»، واسم «الله»؛ فهو يُعبَد بألوهيَّتِه، ويستَعان بربوبيَّتِه، ويَهدي إلى الصِّراط المستَقيم برحمته، فكان أوَّلَ السُّورة ذكر اسمَه «الله»، و«الرَّب»، و«الرَّحمن» تطابقًا لأجل الطَّالب من عبادتِه، وإعانتِه، وهدايتِه، وهو المتفرِّدُ بإعطاء ذلك كلِّه، لا يُعين على عبادتِه سواه، ولا يهدي سواه.

ثمَّ يشهد الدَّاعي بقوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ شدَّةَ فاقته وضرورته إلى هذه المسألة، الَّتي ليس هو إلى شيءٍ أشدَّ فاقة وحاجة منه إليها ألبتَّة؛ فإنَّه محتاجٌ إليه في كلِّ نفَسٍ وطَرفة عَينٍ، وهذا المطلوب من هذا الدُّعاء لا يتِمُّ إلَّا بالهداية إلى

الطَّريق الموصِل إليه سبحانه، والهداية فيه؛ وهي هداية التَّفصيل، وخَلق القُدرة على الفعل وإرادته، وتكوينه، وتوفيقِه لإيقاعه له على الوجه المرضيِّ المحبوب للرَّبِّ ﷻ وحفظه عليه من مفسداتِه حال فعلِه، وبعد فعلِه.

ولَمَّا كان العبد مفتقِرًا في كلِّ حالٍ إلى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذَرُه من أمورٍ قد أتاها على غير الهداية؛ فهو يحتاج إلى التَّوبة منها، وأمورٍ هُدِي إلى أصلها دون تفصيلها، أو هُدِي إليها من وجهٍ دون وجهٍ؛ فهو يحتاج إلى إتمام الهداية فيها ليزداد هدًى، وأمورٍ هو يحتاج إلى أن يحصُل له من الهداية فيها بالمستقبَل مثلُ ما حصل له في الماضي، وأمورٍ هو خالٍ عن اعتقادٍ فيها؛ فهو يحتاج إلى الهداية فيها، وأمورٍ لم يفعلها؛ فهو يحتاج إلى فعلها على وجه الهداية، وأمورٍ قد هُدِي إلى الاعتقاد الحقِّ والعمل الصَّواب فيها؛ فهو محتاج إلى الثَّبات عليها ، إلى غير ذلك من أنواع الهدايات؛ فرض اللهُ ـ سبحانه ـ عليه أن يسأله هذه الهداية في أفضل أحواله مرَّاتٍ متعدِّدةٍ في اليوم واللَّيلة.

ثمَّ بيَّن أنَّ أهلَ هذه الهداية هُم المختَصُّون بنِعمتِه دونَ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وهُم الَّذين عرَفوا الحقَّ ولم يتَّبعوه، ودون ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾، وهُم الَّذين عبَدوا اللهَ بغير علمٍ؛ فالطَّائفتان اشتركَتا في القَول على الله في خلقِه وأمرِه وأسمائِه وصفاتِه بغير علمٍ، فسبيل المنعَم عليه مغايِرةٌ لسبيل أهل الباطل كلِّها؛ علمًا وعملًا.

فإذا فرغ من هذا الثَّناء والدُّعاء والتَّوحيد شُرِع له أن يطبع على ذلك بطابعٍ من التَّأمين، يكون كالخاتم له، وافق فيه ملائكةَ السَّماء، وهذا التَّأمين من زِينة الصَّلاة؛ كرفع اليَدين الَّذي هو زِينةُ الصَّلاة، واتِّباعٌ للسُّنة، وتعظيمُ أمر الله

وعبوديَّة لليدَين، وشعار الانتِقال من ركنٍ إلى ركنٍ.

ثمَّ يأخُذ في مناجاة ربِّه بكلامه، واستِماعه منَ الإمام بالإنصات، وحضُور القلب وشهوده.

وأفضل أذكار الصَّلاة ذكرُ القيام، وأحسن هيئَات المصلِّي هيئات القِيام؛ فخُصَّت بالحمد والثَّناء والمَجد، وتلاوة كلامِ الرَّبِّ ـ جلَّ جلاله ـ، ولهذا نُهي عن قراءة القُرآن في الرُّكوع والسُّجود؛ لأنَّهما حالتا ذلٍّ وخضوعٍ، وتَطامُنٍ وانخفاضٍ، ولهذا شُرِع فيهما من الذِّكر ما يناسب هيئَتَهما، فشُرع للرَّاكع أن يذكر عظمةَ ربِّه في حال انخفاضه هو وتَطامُنِه وخُضوعه، وأنَّه ـ سبحانه ـ يوصَف بوَصف عظمتِه عمَّا يُضادُّ كبرياءَه وجلالَه وعظمته.

فأفضل ما يقول الرَّاكع على الإطلاق: «**سبحان ربِّي العظيم**»؛ فإنَّ الله ـ سبحانه ـ أمر العبادَ بذلك، وعيَّن المبلِّغ عنه، السَّفير بينَه وبينَ عباده هذَا المحَلَّ لهذا الذِّكر لَمَّا نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**»[1].

وبالجملة؛ فسِرُّ الرُّكوع تعظيمُ الرَّبِّ ـ جلَّ جلاله ـ بالقَلب والقالب والقول، ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَمَّا الرُّكُوعُ؛ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ**»[2].

ثمَّ يرفع رأسَه عائدًا إلى أكمل هيئاته، وجعل شعارَ هذا الرُّكن حمدَ الله والثَّناءَ عليه وتمجيدَه؛ فافتتح هذا الشِّعار بقول المصلِّي: «**سَمع اللهُ لمن حمدَه**» أي: سمِعَ سَمْعَ قبولٍ وإجابةٍ، ثمَّ شفَّع بقوله: «**ربَّنا ولك الحمدُ، ملءَ السَّموات**

---

(١) رواه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وضعَّفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (١٥٢).

(٢) رواه مسلم (٤٧٩).

والأرض، وملءَ ما بينهما، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بَعْد».

ولا يُهمِل أمرَ هذه الواو في قوله: «**ربَّنا ولك الحمد**»؛ فإنَّه قد نُدب الأمر بها في «الصَّحيحين»[1]، وهي تجعل الكلامَ في تقدير جملتَين قائمتَين بأنفسهما؛ فإنَّ قوله: «**ربَّنا**» متضمِّنٌ في المعنى: أنتَ الرَّبُّ، والملك القيُّوم الَّذي بيديه أزِمَّة الأمور، وإليه مرجعُها، فعطف على هذا المعنَى المفهوم مِن قوله: «**ربَّنا**» قولَه: «**ولك الحمدُ**»؛ فتضمَّن ذلك معنَى قولِ الموحِّد: «**له المُلكُ، وله الحمدُ**»، ثمَّ أخبر عن شأن هذا الحمد وعظمته قدرًا وصفةً؛ فقال: «**مِلءَ السَّموات، وملءَ الأرض، وملءَ ما بينهما، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بَعْد**» أي: قدر ملء العالم العُلويِّ والسُّفليِّ والفَضاء الَّذي بينهما، فهذا الحمد قد ملأ الخلقَ الموجود، وهو يملأ ما يخلقه الرَّبُّ ـ تبارك وتعالى ـ بعد ذلك ما يشاؤه، فحمده قد ملأَ كلَّ موجودٍ، وملأَ ما سيوجَد، فهذا أحسن التَّقديرَين؛ وقيل: «**ما شئتَ مِنْ شَيْءٍ**» وراءَ العالم، فيكون قوله: «**بَعْد**» للزَّمان على الأوَّل، وللمكان على الثَّاني.

ثمَّ أتبع ذلك بقوله: «**أهل الثَّناء والمجد**» فعاد الأمر بعد الرَّكعة إلى ما افتتح به الصَّلاة قبل الرَّكعة من الحمد والثَّناء والمجد.

ثمَّ أتبع ذلك بقوله: «**أحقُّ ما قال العبدُ**» تقريرًا لحمده وتمجيده والثَّناء عليه، وأنَّ ذلك أحقُّ ما نطق به العبدُ، ثمَّ أتبع ذلك بالاعتراف بالعبوديَّة، وأنَّ ذلك حُكمٌ عامٌّ لجميع العبيد، ثمَّ عقَّب ذلك بقوله: «**لا مانعَ لما أعطَيتَ، ولا مُعطِي لما منَعتَ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منكَ الجَدُّ**» وكان يقول ذلك بعد انقضاء الصَّلاة أيضًا، فيقوله في

(١) البخاري (٦٨٩)، ومسلم (٤١١).

هذين الموضعين اعترافًا بتوحيده، وأنَّ النِّعم كلَّها منه، وهذا يتضمَّن أمورًا:

أحدها: أنَّه المتفرِّد بالعَطاء والمنع.

الثَّاني: أنَّه إذا أعطى لم يُطِق أحدٌ منع مَن أعطاه، وإذا منعَ لم يُطِق أحدٌ إعطاء مَن منعه.

الثَّالث: أنَّه لا ينفع عنده، ولا يخلص مِن عذابه، ولا يُدنِي من كرامته جُدُود بني آدم وحُظوظُهم من المُلك والرِّئاسة والغِنى وطِيب العَيش وغير ذلك، إنَّما ينفعهم عنده التَّقرُّب إليه بطاعته، وإيثار مرضاته.

ثمَّ ختم ذلك بقوله: «**اللَّهمَّ اغسِلني من خَطاياي بالماء والثَّلج والبرَد**»، كما افتتح به الرَّكعة في أوَّل الاستفتاح، كما كان يختِم الصَّلاة بالاستِغفار، وكان الاستِغفار في أوَّل الصَّلاة، ووسطها، وآخرها؛ فاشتمل هذا الرُّكن على أفضل الأذكار، وأنفع الدُّعاء من حَمدِه وتمجيدِه والثَّناء عليه، والاعتراف له بالعبوديَّة والتَّوحيد، والتَّنصُّل إليه من الذُّنوب والخطايا؛ فهو ذِكرٌ مقصودٌ في رُكنٍ مقصودٍ، ليس بدون الرُّكوع والسُّجود.

ثمَّ يكبِّر ويخِرُّ لله ساجدًا، وشُرِع السُّجود على أكمل الهيئات، وأبلغها في العبوديَّة، وأعمِّها لسائر الأعضاء؛ بحيث يأخُذ كلُّ جزءٍ من البدَن بحظِّه من العبوديَّة.

والسُّجود سِرُّ الصَّلاة، ورُكنها الأعظم، وخاتمة الرَّكعة، وما قبله من الأركان كالمقدِّمات له، فهو شِبه طوافِ الزِّيارة في الحجِّ؛ فإنَّه مقصود الحجِّ، ومحلُّ الدُّخول على الله وزيارته، وما قبلَه كالمقدِّمات له، ولهذا أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجدٌ، وأفضل أحواله حالٌ يكونُ فيها أقربَ إلى الله، ولهذا كانَ الدُّعاء في هذا المحَلِّ أقرب إلى الإجابة.

ولَمَّا خلقَ الله ـ سُبحانه ـ العبدَ من الأرض؛ كان جديرًا بأن لا يَخرُج عن أصله، بل يرجع إليه إذا تقاضاه الطَّبع والنَّفس بالخروج عنه؛ فإنَّ العبد لو تُرِك وطَبعه ودَواعي نفسه لتكبَّر وأَشِر وخَرج عن أصله الَّذي خُلق منه، ولوَثب على حقِّ ربِّه من الكبرياء والعظَمة فنازَعه إيَّاهما، فأُمِر بالسُّجود خضوعًا لعظمة ربِّه وفاطِره، وخشوعًا له، وتذلُّلًا بين يديه، وانكِسارًا له، فيكون هذا الخشوع والخضوع والتَّذلُّل ردًّا له إلى حكم العبوديَّة، ويتدارَك به ما حصل له من الهَفوة والغَفلة، والإعراض الَّذي خرج به عن أصله، فيتَمثَّل له حقيقة التُّراب الَّذي خُلق منه، وهو يضَع أشرف شيءٍ منه وأعلاه ـ وهو الوجه ـ فيه، وقَد صار أعلاه أسفلَه خضوعًا بين يدَي ربِّه الأعلى، وخشوعًا له، وتذلُّلًا لعظمَته، واستكانةً لعِزَّته، وهذا غاية خشوع الظَّاهر؛ فإنَّ الله ـ سُبحانه ـ خلقَه منَ الأرض الَّتي هي مذلَّلةٌ للوَطء بالأقدام، واستَعمرَه فيها، وردَّه إليها، ووعَده بالإخراج منها، فهي أمُّه وأبوه، وأصلُه وفصلُه، فضمَّتهُ حيًّا على ظهرها، وميِّتًا في بطنها، وجُعِلَت له طُهرًا ومسجدًا، فأُمِر بالسُّجود إذ هو غايةُ خشوع الظَّاهر، وأجمعَ العبوديَّة لسائر الأعضاء، فيُعفِّر وجهَه في التُّراب استكانةً وتواضُعًا وخضوعًا وإلقاءً باليدَين.

ولهذا كانَ من كمال السُّجود الواجب أنَّه يسجُد على الأعضاء السَّبعة: الوجه، واليدَين، والرُّكبتَين، وأطراف القدَمين، فهذا فرضٌ أمر اللهُ به رسولَه ﷺ، وبلَّغه الرَّسول لأمَّته، ومِن كماله الواجب أو المستَحبِّ مُباشرَة مصلَّاه بأديمِ وجهه، واعتمادُه على الأرض؛ بحيث ينالُها ثِقلُ رأسِه، وارتِفاع أسافِله على أعاليه، فهذا مِن تمام السُّجود.

ومِن كمالِه أن يكون على هيئات يأخُذ فيها كلُّ عضوٍ من البدن بحظِّه من الخضوع؛ فيُقِلُّ بطنَه عن فخِذَيه، وفخِذَيه عن ساقَيه، ويُجافِي عضُدَيه عن جَنبَيه، ولا يفرِشهما على الأرض؛ ليستَقِلَّ كلُّ عضوٍ منه بالعبوديَّة.

ولذلك إذا رأى الشَّيطانُ ابنَ آدم ساجدًا لله اعتزَل ناحيةً يبكي، ويقول: «**يا وَيْلَه! أُمِر ابنُ آدم بالسُّجود فسجَد؛ فله الجنَّة، وأُمِرتُ بالسُّجود فعصَيتُ؛ فلِيَ النَّار**»[1].

ولذلك أثنى الله ـ سُبحانه ـ على الَّذين يخِرُّون سجَّدًا عند سماع كلامه، وذمَّ مَن لا يقع ساجدًا عنده، ولذلكَ كان قولُ مَن أوجبَه قويًّا في الدَّليل، ولمَّا علِمت السَّحرةُ صدقَ موسى وكذِبَ فرعون خرُّوا سجَّدًا لربِّهم؛ فكانت تلكَ السَّجدة أوَّل سعادتِهم، وغُفران ما أفنَوا فيه أعمارَهم منَ السِّحر.

ولذلكَ أخبر ـ سُبحانه ـ عن سجود جميع المخلوقات له؛ فقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ]، فأخبر عن إيمانهم بعلوِّه وفوقيَّته، وخضوعِهم له بالسُّجود تعظيمًا وإجلالًا.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [سُورَةُ الحَجِّ]، فالَّذي حقَّ عليه العذابُ هو الَّذي لا يسجُد له ـ سبحانه ـ، وهو الَّذي أهانه بترك السُّجود له، وأخبر أنَّه لا

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم (٨١).

مُكرِم له، وقَد هانَ على ربِّه حيث لم يسجد له، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ].

ولَمَّا كانت العبوديَّة غايةَ كمال الإنسان، وقُربه من الله بحَسب نصيبه من عبوديَّته، وكانت الصَّلاة جامعةً لمتفرِّق العبوديَّة، متضمِّنةً لأقسامها؛ كانت أفضل أعمال العبد، ومنزلتها من الإسلام بمنزلة عمود الفُسطاط منه، وكان السُّجود أفضل أركانها الفعليَّة، وسرَّها الَّذي شُرِعت لأجله، وكان تكرُّره في الصَّلاة أكثرَ من تكرُّر سائر الأركان، وجعله خاتمةَ الرَّكعة وغايتَها، وشُرع فعلُه بعد الرُّكوع؛ فإنَّ الرُّكوع توطِئةٌ له، ومقدِّمةٌ بين يديه، وشُرع فيه منَ الثَّناء على الله ما يُناسبه، وهُو قول العبد: «**سبحان ربِّيَ الأعلى**»، فهذا أفضل ما يقال فيه، ولم يرِد عن النَّبيِّ ﷺ أمرُه في السُّجود بغيره؛ حيث قال: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**»[1]، وكان وصف الرَّبِّ بالعُلوِّ في هذه الحال في غاية المناسبة لحال السَّاجد الَّذي قد انحَطَّ إلى السُّفل على وجهه، فذكَر علوَّ ربِّه في حال سفوله، وهو كما ذكر عظمتَه في حال خضوعِه في ركوعه، ونزَّه ربَّه عمَّا لا يليق به ممَّا يضادُّ عظمتَه وعلوَّه.

ثمَّ لَمَّا شُرع السُّجود بوصف التَّكرار لم يكُن بدٌّ من الفَصل بين السَّجدتين؛ ففصَل بينهما برُكنٍ مقصودٍ، وشَرَع فيه من الدُّعاء ما يليق به ويناسبه، وهُو سؤال العبد المغفرةَ والرَّحمةَ والهدايةَ والعافيةَ والرِّزقَ؛ فإنَّ هذه تتضمَّن جلبَ خيري الدُّنيا والآخرة، ودفع شرَّي الدُّنيا والآخرة، فالرَّحمةُ تحصِّل الخيرَ، والمغفرةُ تقِي الشَّرَّ، والهدايةُ توصل إلى هذا وهذا، والرِّزقُ إعطاء ما به قِوام البدن من الطَّعام

(١) تقدَّم تخريجه (٩٤).

والشَّراب، وما به قِوام الرُّوح والقَلب من العلم والإيمان، وجُعِل جلوس الفَصل محَلًّا لهذا الدُّعاء لما تقدَّمه من حمدِ الله والثَّناء عليه والخضوع له، فكان هذا وسيلةً للدَّاعي ومقدِّمةً بين يدي حاجته.

فهذا الرُّكن مقصودٌ، والدُّعاء فيه مقصودٌ؛ فهو ركنٌ وُضِع للرَّغبة وطلب العفو والمغفرة والرَّحمة؛ فإنَّ العبد لَمَّا أتى بالقيام والحمد والثَّناء والمجد، ثمَّ أتى بالخضوع وتنزيه الرَّبِّ وتعظيمه، ثمَّ عاد إلى الحمد والثَّناء، ثمَّ كمَّل ذلك بغاية التَّذلُّل والخضوع والاستكانة، بقي سؤالُ حاجتِه واعتذارُه وتنصُّله؛ فشُرع له أن يتمثَّل في الخِدمة، فيقصد فعل العبد الذَّليل جاثِيًا على ركبتَيه، كهيئة المُلقي نفسَه بين يدَي سيِّده راغبًا راهبًا معتذرًا إليه، مستعدِيًا إليه على نفسه الأمَّارة بالسُّوء.

ثمَّ شَرَع له تكرار هذه العبوديَّة مرَّةً بعد مرَّةٍ إلى إتمام الأربع، كما شُرِع له تكريرُ الذِّكر مرَّةً بعد مرَّةً؛ لأنَّه أبلغ في حصول المقصود، وأدعى إلى الاستكانة والخضوع؛ فلمَّا أكملَ ركوع الصَّلاة وسجودها، وقراءتها وتسبيحها وتكبيرَها شُرِع له أن يجلس في آخر صلاته جِلسةَ المتخشِّع المتذلِّل المستكين جاثيًا على رُكبتَيه، ويأتي في هذه الجلسة بأكمل التَّحيَّات وأفضلها، عوضًا عن تحيَّة المخلوق للمخلوق إذا واجهه أو دخل عليه؛ فإنَّ النَّاس يحيُّون ملوكَهم وأكابرَهم بأنواع التَّحيَّات، وهو ـ سبحانه ـ أولى بتلك التَّحيَّات من كلِّ ما سواه؛ فإنَّها تتضمَّن الحياة والبقاء والدَّوام، ولا يستحقُّ أحدٌ هذه التَّحيَّات إلَّا الحيُّ الباقي الَّذي لا يموتُ ولا يزول مُلكُه.

وكذلك قوله: «**والصَّلوات**»؛ فإنَّه لا يستحقُّ أحدٌ الصَّلاة إلَّا الله ﷻ، والصَّلاة

لغيره من أعظم الكُفر والشِّرك به.

وكذلك قوله: «**والطَّيِّبات**»؛ هي صفة الموصوف المحذوف، أي الطَّيِّبات من الكلمات والأفعال والصِّفات والأسماء لله وحده؛ فهو طيِّبٌ، وكلامه طيِّبٌ، وأفعالُه طيِّبةٌ، وصفاته أطيَبُ شيءٍ، وأسماؤه أطيَب الأسماء، واسمه الطَّيِّب ولا يصدُر عنه إلَّا طيِّبٌ، ولا يصعد إليه إلَّا طيِّبٌ، ولا يقرب منه إلَّا طيِّبٌ، وإليه يصعد الكَلِم الطَّيِّب، وفعله طيِّبٌ، والعمل الطَّيِّب يعرج إليه؛ فالطَّيِّبات كلُّها له، ومضافةٌ إليه، وصادِرةٌ عنه، ومنتهِيةٌ إليه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا**»[1].

وقد حكم ـ سبحانه ـ بشَرعه وقَدره أنَّ الطَّيِّبات للطَّيِّبين؛ فإذا كان هُو ـ سبحانه ـ الطَّيِّب على الإطلاق، فالكلمات الطَّيِّبات، والأفعال الطَّيِّبات، والصِّفات الطَّيِّبات، والأسماء الطَّيِّبات كلُّها له سبحانه، لا يستحقُّها أحدٌ سواه، بل ما طاب شيءٌ قطُّ إلَّا بطِيبَتِه ـ سُبحانه ـ، فطِيبُ كلِّ ما سِواه من آثار طيبِهِ، ولا تصلُح هذه التَّحيَّة الطَّيِّبة إلَّا له.

ولَمَّا كان السَّلام من أنواع التَّحيَّة، وكان المسلم داعيًا لمن يحيِّيه، وكان الله ـ سُبحانه ـ هو الَّذي يطلَبُ منه السَّلام لعباده الَّذين اختصَّهم بعبوديَّتِه، وارتضاهم لنفسِه، وشرع أن يبدأ بأكرَمِهم عليه، وأحبِّهم إليه، وأقربِهم منه منزلةً في هذه التَّحيَّة.

ثمَّ خُتمت هذه التَّحيَّة بالشَّهادتين اللَّتَين هما مفتاح الإسلام؛ فشرع أن يكون خاتمة الصَّلاة، فدخَل فيها بالتَّكبير والتحميد والثَّناء والتَّمجيد، وتوحيد الرُّبوبيَّة والإلهيَّة، وختمها بشهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله؛

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وشُرعت هذه التَّحيَّة في وسط الصَّلاة إذا زادت على ركعتَين تشبيهًا لها بجَلسَة الفَصل بين السَّجدتين، وفيها مع الفَصل راحةٌ للمصلِّي؛ لاستقباله الرَّكعتَين الآخرتَين بنشاطٍ وقوةٍ.

وجُعلت كلماتُ التَّحيَّات في آخر الصَّلاة بمنزلة خطبة الحاجة أمامَها؛ فإنَّ المصلِّي إذا فرغَ من صلاته جلَس جلسةَ الرَّاغب الرَّاهب، يستعطي من ربِّه ما لا غنًى به عنه، فشُرع له أمام استعطائه كلماتُ التَّحيَّات مقدِّمةً بين يدي سؤاله، ثمَّ يتبعُها بالصَّلاة على من نالَت أمَّتُه هذه النِّعمة على يده وبسفارتِه، فكأنَّ المصلِّي توسَّل إلى الله ـ سبحانه ـ بعبوديَّته، ثمَّ بالثَّناء عليه والشَّهادة له بالوحدانيَّة، ولرسوله بالرِّسالة، ثمَّ بالصَّلاة على رسوله، ثمَّ قيل له: تخيَّر من الدُّعاء أحبَّه إليك، فذاك الحقُّ الَّذي عليك، وهذا الحقُّ الَّذي لك.

وشُرعت الصَّلاة على آله مع الصَّلاة عليه تكميلًا لقُرَّة عينِه بإكرام آلِه والصَّلاة عليهم، وأن يصلِّي عليه وعلى آله، كما صلَّى على أبيه إبراهيمَ وآله، والأنبياء كلُّهم بعد إبراهيم من آلِه، ولذلك كان المطلوبُ لرسول الله ﷺ صلاةً مثل الصَّلاة على إبراهيم، وعلى جميع الأنبياء بعده وآله المؤمنين، فلهذا كانت هذه الصَّلاة أكملَ ما يصلَّى على رسول الله ﷺ بها وأفضَل.

فإذا أتى بها المصلِّي أُمر أن يستعيذ بالله من مجامع الشَّرِّ كلِّه؛ فإنَّ الشَّرَّ إمَّا عذاب الآخرة، وإمَّا سببه، فليس الشَّرُّ إلَّا العذاب وأسبابه.

والعذاب نوعان: عذابٌ في البَرزَخ، وعذابٌ في الآخرة؛ وأسبابه: الفتنة، وهي نوعان: كبرى، وصغرى.

فالكُبرى: فتنة الدَّجَّال، وفتنة المَمات، والصُّغرى: فتنة الحياة الَّتي يمكن تدارُكها بالتَّوبة، بخلاف فتنة المَمات، وفتنة الدَّجَّال؛ فإنَّ المفتونَ بهما لا يتدارَكهما.

ثمَّ شُرِع له منَ الدُّعاء ما يختارُه من مصالح دنياه وآخرته، والدُّعاء في هذا المحَلِّ قبل السَّلام أفضل منَ الدُّعاء بعد السَّلام، وأنفَع للدَّاعي؛ وهكذا كانت عامَّة أدعية النَّبيِّ ﷺ كلُّها كانت في الصَّلاة من أوَّلها إلى آخِرها، فكان يدعو في الاستفتاح أنواعًا من الدُّعاء، وفي الرُّكوع، وبعد رفع رأسه منه، وفي السُّجود، وبين السَّجدتَين، وفي التَّشهُّد قبل التَّسليم، وعلَّم الصِّدِّيقَ دعاءً يدعو به في صلاته، وعلَّم الحسنَ بن عليٍّ دعاءً يدعو به في قُنوت الوتر، وكان إذا دعا لقومٍ، أو على قومٍ جعَله في الصَّلاة بعد الرُّكوع؛ وسرُّ ذلك أنَّ المصلِّي قبل سلامِه في محلِّ المناجاة والقُربة بين يدَي ربِّه، فسؤاله في هذه الحال أقرب إلى الإجابة مِن سؤاله بعد انصرافه من بين يدَي ربِّه.

وقد سُئل النَّبيُّ ﷺ: أيُّ الدُّعاء أسمعُ؟ فقال: «**جَوْفُ اللَّيْلِ، وَأَدْبَارُ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَةِ**»[(١)]، ودبُر الصَّلَاةِ: جزؤها الأخير، كدبُر الحيوان، ودبُر الحائط، وقد يُراد بدبُرها ما بعد انقضائها بقرينةٍ تدلُّ عليه، كقوله: «**تُسَبِّحُونَ اللهَ وَتَحْمَدُونَهُ وَتُكَبِّرُونَهُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ**»[(٢)]، فهنا دبُرها بعد الفَراغ منها، وهذا نظير انقضاء الأجل؛ فإنَّه يُراد به آخِر المدَّة ولَمَّا يفرغ، ويُراد به فراغُها وانتهاؤها.

ثمَّ خُتِمت بالتَّسليم، وجُعل تحليلًا لها يخرجُ به المصلِّي منها، كما يخرجُ بتحليل

---

(١) رواه التِّرمذي (٣٤٩٩)، وحسَّنه الألباني في تخريج «المشكاة» (١/ ٣٠٥).

(٢) رواه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحجِّ منه، وجُعل هذا التَّحليل دعاء الإمام لمن وراءه بالسَّلامة الَّتي هي أصل الخير وأساسه؛ فشُرع لمن وراءه أن يتحلَّل بمثل ما تحلَّل به الإمام، وفي ذلكَ دعاءٌ له وللمصلِّين معه بالسَّلام، ثمَّ شُرِع ذلكَ لكلِّ مصَلٍّ، وإن كان منفردًا؛ فلا أحسنَ من هذا التَّحليل للصَّلاة، كما أنَّه لا أحسنَ من كون التَّكبير تحريمًا لها، فتَحريمها تكبيرُ الرَّبِّ تعالى، الجامع لإثبات كلِّ كمالٍ له، وتنزيهٍ عن كلِّ نقصٍ وعيبٍ، وإفراده وتخصيصه بذلك، وتعظيمه وإجلاله؛ فالتَّكبير يتضمَّن تفاصيل أفعال الصَّلاة وأقوالها وهيئاتها؛ فالصَّلاة من أوَّلها إلى آخرها تفصيلٌ لمضمون «الله أكبَر»، فلا أحسَن من هذا التَّحريم المتضمِّن للإخلاص والتَّوحيد، وهذا التَّحليل المتضمِّن للإحسان إلى إخوانِه المؤمنين، فافتُتحت بالإخلاص، وخُتِمت بالإحسان.



دفع الوسواس

عن عبد الله بن عَنَمَةَ قَالَ: رَأَيْتُ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ دَخَلَ المَسْجِدَ فَصَلَّى، فَأَخَفَّ الصَّلاَةَ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ قُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا اليَقْظَانِ! لَقَدْ خَفَّفْتَ؛ قَالَ: فَهَلْ رَأَيْتَنِي انْتَقَصْتُ مِنْ حُدُودِهَا شَيْئًا؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنِّي بَادَرْتُ بِهَا سَهْوَةَ الشَّيْطَانِ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلاَّ عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا**»(١).

الوسواس كلَّما قلَّ في الصَّلاة كانَ أكمل، وكلَّما زاد ضاعَ من صلاة العَبد بحَسْبه، فحاجَةُ العَبد إلى دفعِه ماسَّة؛ ليفُوز بأجر صلاتِه، فإنَّه ليس له مِن صلاتِه إلَّا ما عقلَ منها، والَّذي يُعينُ على ذلك شيئان: قوَّة المقتَضي، وضَعف الشَّاغل.

أمَّا الأوَّل: فاجتهاد العَبد في أن يعقلَ ما يقولُه ويفعَلُه، ويتدبَّر القراءةَ والذِّكر والدُّعاء، ويستَحضر أنَّه مُناجٍ لله تعَالى كأنَّه يراه، فإنَّ المصلِّي إذا كان قائمًا

---

(١) رواه أحمد (١٨٨٩٤)، وأبو داود (٧٩٦)، وحسَّنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٧٦١).

فإنَّما يُناجي ربَّه.

والإحسانُ: أن تعبدَ الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تَراه فإنَّه يراك، ثمَّ كلَّما ذاقَ العبدُ حلاوةَ الصَّلاة كانَ انجذابُه إليها أوكَد، وهذا يكونُ بحَسْب قوَّةِ الإيمان.

والأسبابُ المقويَّة للإيمان كثيرة؛ ولهذا كان النَّبيُّ ﷺ يقول: «**حُبِّب إليَّ مِن دُنْيَاكم: النِّسَاء، والطِّيبُ، وجُعِلَت قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ**»[1].

وفي حديث آخر أنَّه قال: «**أرِحْنَا يَا بلال بالصَّلاةِ**» ولم يقل: أرحنا منها.

وهذا باب واسع.

فإنَّ ما في القَلب من معرفة الله، ومحبَّته، وخشيته، وإخلاص الدِّين له، وخوفه، ورجائه، والتَّصديق بأخباره، وغير ذلك، ممَّا يتباين النَّاس فيه، ويتفاضلون تفاضلا عظيما، ويقوى ذلكَ كلَّما ازداد العبد تدَبُّرًا للقرآن، وفهمًا ومعرفةً بأسماء الله وصفاته وعظمَته، وتفقُّره إليه في عبادته واشتغالِه به، بحيثُ يجد اضطرارَه إلى أن يكون تعالى معبوده ومستغاثه أعظَم من اضطراره إلى الأكل والشُّرب، فإنَّه لا صلاح له إلَّا بأن يكونَ الله هُو معبوده الَّذي يطمئنُّ إليه، ويأنسُ به، ويلتذُّ بذكره، ويستَريح به، ولا حصولَ لهذا إلَّا بإعانة الله، ومتَى كانَ للقلب إلهٌ غيرُ الله فسدَ وهلكَ هلاكًا لا صلاحَ معه، ومتَى لم يُعِنه الله على ذلكَ لم يُصْلِحه، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا به، ولا ملجأَ ولا منجَا منه إلَّا إليه.

وأمَّا زوال العَارض: فهو الاجتهاد في دفع ما يُشْغل القلبَ مِن تفكُّر الإنسان فيما لا يَعنيه، وتدبُّر الجواذب الَّتي تجذب القلبَ عن مقصود الصَّلاة، وهذا في كلِّ

---

(١) رواه أحمد (١٢٢٩٣)، والنَّسائي (٣٩٣٩)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٤).

عبد بحسبه، فإنَّ كثرةَ الوسواس بحَسب كثرة الشُّبهات والشَّهوات، وتعليق القَلب بالمحبوبات الَّتي ينصرفُ القلبُ إلى طلبها، والمكروهاتِ الَّتي ينصرفُ القلب إلى دفعِها.

والوساوس: إمَّا من قَبيل الحبِّ، مِن أن يخطر بالقَلب ما قَد كان؛ أو مِن قبيل الطَّلب، وهو أن يخطر في القَلب ما يريد أن يفعَله.

ومن الوساوس ما يكونُ من خواطر الكُفر والنِّفاق، فيتألَّم لها قلبُ المؤمن تألُّمًا شديدًا، كما قال الصَّحابة: «يا رسُولَ الله! إنَّ أحَدَنا ليَجِدُ في نفسِه مَا لأَنْ يخِرَّ من السَّماء أحبُّ إليه مِن أنْ يتكَلَّم به، فقال: **أوَجَدْتُموه؟**، قالوا: نعَم؛ قال: **ذلك صَريحُ الإيمانِ**»[1].

قال كثير من العلماء: فكراهةُ ذلك وبغضُه وفرار القَلب منه هو صَريح الإيمان، والحمد لله الَّذي كان غاية كيد الشَّيطان الوسوسَة، فإنَّ شيطان الجنِّ إذا غلب وَسْوَس، وشيطان الإنس إذا غَلَب كَذَب، والوسواس يعرضُ لكلِّ مَن توجَّه إلى الله تعالى بذكرٍ أو غيرِه، لابدَّ له من ذلك، فينبغي للعَبد أن يثبت ويصبر، ويلازم ما هو فيه من الذِّكر والصَّلاة ولا يضجر، فإنَّه بملازمة ذلك ينصرفُ عنه كيد الشَّيطان، ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

وكلَّما أراد العبد توجُّهًا إلى الله تعالى بقَلبه جاء منَ الوسواس أمور أخرى، فإنَّ الشَّيطان بمَنزلة قاطع الطَّريق، كلَّما أراد العَبد أن يسير إلى الله تعالى أرادَ قطع الطَّريق عليه؛ ولهذا قيل لبَعض السَّلف: إنَّ اليهودَ والنَّصارى يقولون: لا

---

(١) رواه مسلم (٢٠٩).

نُوَسْوس، فقال: صَدَقوا؛ وما يصنَعُ الشَّيطان بالبيتِ الخرِب.

وتفاصيل ما يعرضُ للسَّالكين طويل موضعه، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم[1].

۞۞۞

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيميَّة (٢٢/ ٦٠٨) باختصار.

في الصَّلاة معونةٌ ومزدَجَر

الصَّلاة نور المؤمنين، وضياء أفئدتهم، وهي الصِّلة بينَ العبد وبينَ ربِّه، وإذا كانت صلاةُ العبد صلاةً كاملةً، مجتمعًا فيها ما يلزَم فيها وما يُسَنُّ، وحصَلَ فيها حضور القَلب الَّذي هو لبُّها، فصار العبد إذا دخل فيها استَشعر دخولَه على ربِّه، ووقوفَه بين يديه موقفَ العبد الخاشع المتأدِّب، مستحضرًا لكلِّ ما يقوله وما يفعله، مستغرِقًا بمناجاة ربِّه ودعائه؛ فلا جرَم أنَّها من أكبر المعونَة على جميع الفضائل والخيرات، وأعظم مزدَجرٍ عن الفواحش والمنكرات.

وذلك أنَّ هذا الحضور الَّذي يكون في الصَّلاة يوجِد للعَبد في قلبه داعيًا يدعوه إلى امتثال أوامر ربِّه، واجتناب نواهيه، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٣﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ]، والفحشاء: كلُّ ما

استُعظِم واستُفحِش من المعاصي الَّتي تشتهيها النُّفوس، والمنكر: كلُّ معصيةٍ تُنكِرها العقولُ والفِطَرُ.

ووجه كون الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: أنَّ العبد المقيم لها، المتمِّم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبُه، ويتطهَّر فؤاده، ويزداد إيمانُه، وتقوى رغبتُه في الخير، وتقِلُّ أو تنعدِم رغبتُه في الشَّرِّ، فبالضَّرورة مداومَتُها والمحافظة عليها على هذا الوجه تنهى عن الفحشاء والمنكر، فما أعظم شأن هذه الصَّلاة لو أقمناها كما ينبغي؛ لأنَّ الصَّلاة تمنع عن الاشتِغال بالدُّنيا، وتُخَشِّع القلبَ، ويحصلُ بسبَبِها تلاوةُ الكتاب والوقوفُ على ما فيه من الوعد والوعيد، والمواعظ والآداب الجميلة، وذكر مصير الخلق إلى دار الثَّواب، أو دار العِقاب رغبةً في الآخرة، ونفرةً عن الدُّنيا.

فكانت الصَّلاة بمجموعها كالواعظ النَّاهي عن الفَحشاء والمنكر، ثمَّ النَّاس في الانتهاء متفاوِتُون، وهذا المعنى من النَّهي عن الفحشاء والمنكر هو من حكمة جعل الصَّلوات موزَّعةً على أوقاتٍ من النَّهار واللَّيل، ليتجدَّد التَّذكير وتتعاقب المواعظ، وبمقدار تكرُّر ذلك تزدادُ خواطر التَّقوى في النُّفوس، وتتباعَد النَّفس من العِصيان حتَّى تصير التَّقوى ملكةً لها، ووراء ذلك خاصِّيَّةٌ عظيمةٌ جعلها الله في الصَّلاة يكون بها تيسير الانتهاء عن الفحشاء والمنكر.

روى الإمام أحمد(١) عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إنَّ فلانًا يصلِّي باللَّيل؛ فإذا أصبح سرَق، فقال: «**إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ**».

(١) في «المسند» برقم (٩٧٧٨)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٣٤٨٢).

وأمَّا حديث: «**كُلُّ صَلَاةٍ لَمْ تَنْهَ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ؛ لَمْ يَزْدَدْ صَاحِبُهَا مِنَ الله إِلَّا بُعْدًا**»[1]؛ فقد سئل عنه شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله فأجاب: «هذا الحديث ليس بثابتٍ عن النَّبيِّ ﷺ، لكنَّ الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله في كتابه، وبكلِّ حالٍ؛ فالصَّلاة لا تزيد صاحبَها بُعدًا، بل الَّذي يصلِّي خيرٌ من الَّذي لا يصلِّي، وأقرب إلى الله منه، وإن كان فاسقًا، لكن قال ابن عبَّاسٍ: «ليس لك من صلاتك إلَّا ما عقَلت منها»، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاتِهِ، وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ مِنْهَا إِلَّا نِصْفُهَا، إِلَّا ثُلُثُهَا، إِلَّا رُبْعُهَا، حتَّى قال: إِلَّا عُشْرُهَا**»[2]، فإنَّ الصَّلاة إذا أتى بها كما أُمِر نَهَتْهُ عن الفحشاء والمنكر، وإذا لم تنهَهُ دلَّ على تضييعه لحقوقها، وإن كان مطِيعًا؛ وقد قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية [سورة مريم]، وإضاعتُها: التَّفريط في واجباتها وإن كانَ يصلِّيها، والله أعلم»[3].

۞۞۞

(١) أخرجه الطَّبراني في «الكبير» (١١/ ٥٤)، والقضاعي في «الشِّهاب» (٥٠٩)، وقال الألباني في «الضَّعيفة» (٢): «باطل».

(٢) تقدَّم تخريجه (ص١٠٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٥).

الصَّلاة بابٌ عظيمٌ للغُفران

إنَّ من آثار الصَّلاة العَظيمة، وثمارها الجليلة ما فيها مِن غُفران الذُّنوب وحطِّ الأوزار وتكفير السَّيِّئات، روى مسلم في «صحيحه»[1] عنْ أبي هريرةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**»، وفي «الصَّحيحين»[2] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟** قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: **فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهَا الخَطَايَا**».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ولَمَّا كان شأن الغُفران في الصَّلاة بهذه المكانَة، شُرع للمُسلم الإكثارُ من طَلب المغفرةِ في كلِّ حال من أحوال صلاتِه في

(١) برقم (٢٣٣).

(٢) البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٢٨٣).

قيام أو ركوع أو سجُود أو جلوس:

١ـ فمن أدعية الاستفتاح؛ ما رواه مسلم[1] عَنْ علي بنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ المسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ المِلكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**».

٢ـ ومن أدعية الرُّكوع والسُّجود؛ ما رواه الشَّيخان[2] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**».

٣ـ ومن أدعية الرَّفع منَ الرُّكوع؛ ما رواه مسلم[3] عَبد الله بن أَبِي أَوْفى يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاءِ ومِلْءَ الأَرْضِ ومِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ والبَرَدِ وَالماءِ البَارِدِ، اللَّهُمَّ**

(١) برقم (٢٠١).

(٢) البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٤).

(٣) برقم (٧٧١).

طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ والخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الوَسَخِ»، وفي رواية: «إِذَا رَفَعَ ظَهْرَهُ مِنَ الرُّكُوعِ».

٤ـ ومن أدعية السُّجود؛ ما رواه مسلم[1] عَنْ أَبِي هريرةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلاَنِيَتَهُ وَسِرَّهُ**».

٥ـ وفي الجلسة بينَ السَّجدتَين يُكثر من الاستغفَار؛ روى أبو داود[2] عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**»، أي أنَّه يكرِّر ذلكَ بين السَّجدتين لا أنَّه يقوله مرَّتَين فقَط.

٦ـ وقبل السَّلام كان يستَغفر؛ ففي «صحيح مسلم»[3] عن عليٍّ: ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ ﷺ بَيْنَ التَّشَهُّدِ والتَّسْلِيمِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ، ومَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**».

٧ـ وبعد السَّلام يستَغفر؛ روى مسلم[4] عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا، وقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ ذَا الجَلاَلِ والإِكْرَامِ**»؛ قَالَ الوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِي: كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟

---

(١) برقم (٤٨٣).

(٢) برقم (٨٧٤)، وصحَّح إسناده الألباني في «صحيح أبي داود» (٨١٨).

(٣) برقم (٢٠١).

(٤) برقم (٥٩١).

قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ الله، أَسْتَغْفِرُ الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ: «والاستِغفار يمحُو الذُّنوب فيُزيل العذَاب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ]، وقَد كان النَّبيُّ ﷺ يُطلَب منَ الله المغفرة في أوَّل الصَّلاة في الاستفتاح، كما في حديث أبي هُريرة الصَّحيح، وحديث عليٍّ الصَّحيح في أوَّل ما يُكبِّر، ثمَّ يطلبُ الاستغفار بعدَ التَّحميد إذا رفَع رأسَه، ويطلب الاستغفار في دعاءِ التَّشهُّد كما في حديث عليٍّ وغيره، ويطلبُ الاستغفَار في الرُّكوع والسُّجود كما في حديث عائشة الصَّحيح، ورواه أبو داود والنَّسائي وابن ماجه، وروى مسلم وأبو داود عن أبي هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقول في سجوده: «**اللَّهُمَّ اغْفِر لي ذَنْبِي كُلَّه، دِقَّه وجِلَّه، وأوَّلَه وآخِرَه، وعلانِيَّتَه وسِرَّه**»، فلم يبقَ حالٌ من أحوال الصَّلاة، ولا ركنٌ من أركانها إلَّا استَغفر اللهَ فيه»[1].

۞۞۞

(١) «جامع المسائل» (٦/ ٢٧٤ـ٢٧٥)

عُمّار المساجِد

يكفي المساجد شرفًا وفضلًا أنَّها بيوتُ الله عَزَّوَجَلَّ ، أضافَها الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ إلى نفسِه تشريفًا لها، وتعليةً لقدرها، وبيانًا لعظيم مكانتِها، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [سُورَةُ الجِنِّ]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سُورَةُ النُّورِ].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ هذا جماع ما يتعلَّق بالمساجد من أحكام وآداب؛ فرفْعُها يتناول تشييدَها وبناءَها وتنظيفَها، والعنايةَ بها وصيانتَها من كلِّ مؤذٍ، وذكرُ الله فيها يتناول الصَّلاة والقُرآن والعِلم وغير ذلك.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾، أي إنَّ قلوبَهم معلَّقة بالمساجد، عرفوا لبيوتِ الله حقَّها ومكانتَها، ورَعَوا ما ينبغي أن يُقام به تجاهها.

وقال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ]، وفيها بيان العمارة الحقيقيَّة لبيوت الله ﷻ، وأنَّه يجمَعُها تحقيق أمرَيْن جليلَيْن، والقيام بمَطلَبَيْن عظيمَيْن: صلاح العقيدة، وحسن العَمل.

أمَّا صلاح العَقيدة؛ ففي قوله ﷻ: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾، فالعقائد الفاسدة، والمذاهب الباطلة، والآراء المنحرفة ليس أهلها مِن عمَّار بيوت الله وإن حضَروا وقاموا في الصُّفوف وصلَّوا مع المصلِّين، فإنَّ الأساسَ الَّذي تُبنى عليه العِمارة الحقيقيَّة لبيوتِ الله ـ تبارك وتعالى ـ صحَّة المعتَقد وسلامة الإيمانِ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: ربًّا خالقًا رازقًا منعِمًا متفضِّلًا، وآمَن بأسمائه الحسنى وصفاته العُليا وكماله وجلاله وعظمته وكبريائه ﷻ، وأنَّه عَزَّوَجَلَّ هُو المعبودُ بحقٍّ، ولا معبود بحقٍّ سِواه؛ فله يخضَع وإليه يَلتَجئ، وله ﷻ يركع ويسجُد، وإيَّاه يدعو، وإليه يتوسَّل، ومنه يطلبُ جميعَ حاجاتِه وكلَّ رغباتِه، لا مفزعَ له ولا ملجَأ إلَّا إليه ﷻ، لا يدعو إلَّا الله، ولا يسأل إلَّا الله، ولا يستغيثُ إلَّا بالله، ولا يذبح إلَّا لله، ولا يطلبُ المَدَدَ والعونَ إلَّا منَ الله ﷻ، فصحَّت عقيدتُه بالله، وصحَّ إيمانه به ﷻ؛ وعندما يقع الخلل في هذا الأصل العَظيم والأساس المتين تبطُل الأعمال ـ عياذاً بالله ـ، وتحبط ـ ولو كثُرَت ـ ؛ لأنَّ عمارةَ المساجد أساسُها الَّذي عليه تُبنى صحَّة العقيدة وصحَّة الإيمان بالله ـ تبارك وتعالى ـ.

ومنَ الأمور المؤسِفات، بل الكبائر العظيمات، بل أعظَم الكبائر وأخطرها أن يوجَد في بعض المساجد مَن يلجَأ إلى غَيْر الله، ويدعو غير الله، بل سُمع بعضُهم ـ عياذًا بالله تعالى ـ وهُو يقول في سجوده ـ وهُو في بيتِ الله ـ: «مَدَد يا فُلان»،

وربَّما رفَع يديه يدعُو مخاطبًا الرَّسول ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أو أحَدَ الأولياء؛ فأينَ حقيقةَ الإيمان بالله؟ وأينَ صحَّةَ المعتَقد الَّذي يُبنَى عليه دينُ الله ـ تبارك وتعالى ـ؟ ولقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ]، ويقول ـ جلَّ في عُلاه ـ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أي: إنَّ المساجد الَّتي هي أعظمُ محالِّ العبادةِ مبنيَّةٌ على الإخلاص لله، والخضوع لعظَمَته، والاستكانة لعزَّتِه ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [سُورَةُ الجِنِّ]؛ فأين هذا الضَّائع التَّائه المنحَرف الَّذي يعمدُ إلى بيوتِ الله ـ تبارك وتعالى ـ ويسجُد في بيتِ الله ثمَّ يدعو غيرَ الله أو يرفَع يدَيْه يستَغيث بغَيره ـ تبارك وتعالى ـ، وأمثال هؤلاء لو قامُوا في المسجد قيامَ السَّارية لم ينفَعهم ذلكَ ولم يستَفيدوا منه؛ لأنَّ الأساسَ الَّذي تُبنَى عليه الأعمالُ، ويُقام عليه الدِّين مختلٌّ عندَهم؛ لأنَّ مَن دعا غيرَ الله، مِن ميِّت، أو غائب، أو استَغاث به، فهُو مشركٌ بالله، وإنْ لم يقصِد إلَّا مجرَّد التَّقرُّب إلى الله، وطلب الشَّفاعة عندَه.

وأمَّا صلاح العَمل، ففي قوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾؛ أي الواجبة والمستَحبَّة، بالقيام بالظَّاهر منها والباطن، ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ لأهلها طيِّبةً بها نفسُه، ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي قَصَر خشيتَه على ربِّه، فكفَّ عمَّا حرَّم الله، ولم يقَصِّر بحقُوق الله الواجبة، فهؤلاء عمَّار المساجد على الحقيقَة، وأهلُها الَّذين هُم أهلها.

وأمَّا مَن لم يؤمِن بالله ولا باليَوم الآخر، ولا عندَه خشيةٌ لله، فهذَا ليسَ من عمَّار مساجد الله، ولا مِن أهلها الَّذين هُم أهلُها، وإن زَعَم ذلك وادَّعاه.

والمساجد قرَّة عيُون أهل الإيمان، وسلوةُ نفوسِهم، وبهجة صدورهم،

ومهْوَى أفئدتِهم، وأُنسُ خواطرهم، وراحتُهم وسعادتُهم، فراحةُ المؤمن وسعادتُه وهناءتُه ولذَّتُه في هذه المساجد الَّتي هي أحبُّ البقاع إلى الله، وهذا أمرٌ يدركه كلُّ مصلٍّ وكلُّ قاصدٍ للمَساجد بإخلاص لله ـ تبارك وتعالى ـ وحُسن تقرُّبٍ إليه، حتَّى إنَّ المتحدِّث يتحدَّث في هذا المقام عن نفسِه بأنَّ همومه تنزاح وغمومَه تزول ولا يبقى منها شيء ويجد راحةً وطُمأنينةً.

وهي أحبُّ البقاع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وخير البقاع وأفضلها، ففي «صحيح مسلم»[1] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أَحَبُّ البِلَادِ إِلَى الله مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ البِلَادِ إِلَى الله أَسْوَاقُهَا**»، حيثُ تميَّزت بكثرة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فيها، وإقام الصَّلاة، وتلاوة القُرآن، وعقد حِلَق العِلم والفقه في دين الله ـ تبارك وتعالى ـ، إلى غير ذلكم منَ الأمور العَظيمة الكبيرة الحبيبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بخلاف الأسواقِ فإنَّه يوجَد فيها من التَّعاملات المحرَّمة والأعمال السَّيِّئة، والأمور المنكَرة إلى غير ذلكم ممَّا يقَع في الأسواق.

فالمسجدُ مكانٌ مبارَكٌ وبقعةٌ فاضلَةٌ حبيبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وينبغي على كلِّ مَن أكرَمَه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأن كانَ من أهل المساجِد ومِن أهلِ الصَّلاة في بيوتِ الله ـ تبارك وتعالى ـ، وممَّن يجيبُ نداءَ الله وداعيَ الله أن يرعَى لبيوتِ الله آدابَها، وأن يعرفَ ما ينبغي أن يتحلَّى به تُجاه هذه البقاع الفاضلة، والأماكن الحبيبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليكون من عمَّارِها حقًّا وصدقًا، والله وحدَه الموفِّق لا شريكَ له.

۞۞۞

(١) برقم (٦٧١)

أَلَمٌ فِي القُلُوبِ

إنَّ خيرَ بقاع الأرض وأحبَّها إلى الله ﷻ المساجد؛ فهي مجامِع الخير، وأماكن الطَّاعة، ومَوئِل الإيمان، ومهوَى الأفئدة، أذنَ الله لعباده برفعها ليُذكر فيها اسمُه سبحانه، ولتُقام فيها الصَّلاة، ولتكونَ منطلَقًا للعلم، ومرتكزًا لإشعاعه ونوره، ومنبرًا للهدى والخير، يؤُمُّها المؤمنون، ويجتمعُ فيها المتَّقون، ويتذاكر فيها المتذاكِرُون، ويكون فيها المسبِّح، والذَّاكر، والدَّاعي، والتَّالي لكتاب الله، والرَّاكع والسَّاجد، والجميع خائفٌ من يومٍ تتقلَّب فيه القلوب والأبصار.

وفي المسجد تطمئنُّ القلوب، وتسكُن النُّفوس، ويَذهب العَناء وتتحقَّق الرَّاحة، وتعظُم صِلة العبد بربِّه؛ فما أعظمَ أثرها، وما أجلَّ نفعَها وفائدتَها، فهي قرَّة عيون المؤمنين، وأنس قلوب المتَّقين، وبهجة نفُوس المسلمين.

وَرَد في فضلِها، وفضل بنائها، والعناية بها نصوصٌ متكاثِرةٌ في القرآن والسُّنة، وهي تدلُّ دلالةً ظاهرةً على عظم مكانتها، وجلالة قدرها، وأهمِّيَّة العناية بها بناءً ونظافةً وعمارةً لها بطاعة الله ﷿، والله ـ جلَّ وعلا ـ يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ

مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التوبة].

وللمسجد حرمتُه ومكانتُه في قلوب المؤمنين؛ يعرِفون له قدرَه، ويهتمُّون بشأنه بحسب قوَّة إيمانهم بالله واليوم الآخر، وعمارةُ المسجد تشمَل البناءَ، والتَّنظيفَ، والصَّلاة، وذكرَ الله، وغير ذلك.

ولكن ثمَّة ألمٌ في قلوب كثيرٍ من المسلمين بسبب أمرٍ يتكرَّر في زماننا في المساجد؛ بيوتِ الله ـ تبارك وتعالى ـ، فيه أذًى عظيمٌ للمسلمين في صلاتهم وعبادتهم، وإذهابٌ لخشوعهم وإقبالهم على ربِّهم ـ تبارك وتعالى ـ من أناسٍ ربَّما بلغَ الأمرُ بهم مبلغَ اللَّامبالاة، وعدم الاكتِراث؛ مع أنَّ الأمر ـ إي والله ـ جدُّ خطيرٍ.

إنَّه أصواتُ الموسيقى الَّتي أصبح سماعُها في المساجد متكرِّرًا؛ بل لا تكاد تخلو صلاةٌ أو ركوعٌ أو سجودٌ من سماع هٰذه الموسيقى، ولو قُلتَ قبل عشرين سنةً، أو ثلاثين سنةً لشخصٍ: هل تتصوَّر أنَّه يومًا من الأيَّام تُسمَع الموسيقى داخل المساجد؟ لقال لك: هذا ضربٌ من الخَيال، ولا يمكن أبدًا، ومَن يصدِّق أنَّ ذلكَ يحصُل في المساجد؟!

أَبَلَغَ الحال بنا ـ أمَّةَ الإسلام ـ أن تُضرب هٰذه الموسيقى المُنكَرة السَّيِّئة في بيوت الله؟! أين حُرمة المساجد؟! أين مكانتها في قلوبنا؟! أين مراعاتنا لحقوق إخواننا المصلِّين؟! أين تقوانا لله عَزَّ وَجَلَّ؟! أين تعظيمنا لشعائر الله ـ جلَّ وعلا ـ إذا كانت حالُنا بهذه الصِّفة في أمر متكرِّر؟! مع أنَّ كلَّ مَن يحمل هاتفَ الجوَّال يستطيع كلَّ مرَّةٍ يدخل فيها المساجد أن يغلق جوَّاله، أو أن يجعله على الوضع الصَّامت؛ لكِنَّ كثيرًا من النَّاس أصبح لا يبالي، ولا يكتَرِثُ بهذا الأمر، وأصبح

المصلُّون ـ وبشكلٍ مستَمِرٍّ ـ يسمَعون الموسيقى وهُم سجودٌ، وهم رُكَّعٌ، وهم في دعائهم، وهم في تسبيحهم، بينما المسبِّح والذَّاكر لله ـ تبارك وتعالى ـ وإذا بهذا الصَّوت الصَّاخب العالي يضرب هنا وهناك داخل المساجد!!

يا حاملَ الجوَّال المساجد لها حُرمة: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الحج]، والمصلُّون لهم احترامٌ ولهم حقٌّ؛ وإذا كان لا يجوز داخل المسجد أن ترفع صوتَك بالقرآن على أخيك، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: اعْتَكَفَ رَسُولُ الله ﷺ فِي المَسْجِدِ فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بِالقِرَاءَةِ فَكَشَفَ السِّتْرَ وَقَالَ: «**أَلَا إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ؛ فَلاَ يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي القِرَاءَةِ** ـ أَوْ قَالَ ـ: **فِي الصَّلَاةِ**» رواه أحمد وأبو داود[1]؛ فكيف إذًا بهذه الأصوات السَّيِّئة المنكَرة؟!

إنَّ الأمر مؤسِفٌ للغاية، ويدلُّ على ضعف الإيمان، ونقص الدِّين، وضعف الاحترام لبيوت الله ـ تبارك وتعالى ـ ومراعاة الحُرمة لها، والواجب على هذا الَّذي أكرمه الله ـ جلَّ وعلا ـ بهاتف الجوَّال أن يجعل مِن شُكر الله ـ تبارك وتعالى ـ له على هذه النِّعمة ـ الَّتي سهَّل الله له بها الاتِّصال على أهلِه وقرابته وأبنائه، وقضاءِ مصالحه وحاجاته ـ أن يستعملها في طاعة الله، ومِن استعمالها في طاعة الله ـ تبارك وتعالى ـ أن لا تحتوي على منكرٍ؛ والموسيقَى في الجوَّالات محرَّمةٌ في كلِّ حالٍ، بل ينبغي عليه أن يختار لجوَّالِه أصواتًا ليست بأصوات الموسيقى، ويزداد الأمرُ خطورةً عندما يكون هذا الصَّوت المنكر داخل بيوت الله ـ تبارك وتعالى ـ، فبيوتُ

(١) رواه أحمد (١١٨٩٦)، وأبو داود (١٣٣٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٣٩).

الله ـ تبارك وتعالى ـ محترمةٌ ولها حرمتُها، وإذا كان ذاك الَّذي أخذ يسأل عن حاجته في المسجد قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**قُولُوا: لَا رَدَّ اللهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ**»[1]؛ فكيف الأمر بهذا المنكَر العظيم الشَّنيع؟! حتَّى لو كان بأدعيةٍ، فالأدعية تشغل المصلِّين، وتجدُك وأنتَ تُريد أن تقرأَ اختلفَت عليكَ قراءتُك، أو تريد أن تدعُو اختَلف عليكَ دعاؤُك؛ فينبغي أن تُحترم بيوت الله، وأن يُراعى للمصلِّين حرمتهم، وعلى حامل الجوَّال أن يذكر نعمةَ الله ﷻ عليه؛ ولا يجعله آلةً يؤذي بها إخوانه المصلِّين.

فلنَتَّق اللهَ، ولنحذَر من موجِبات سخط الله وعقابه ﷻ ، والواجب على كلِّ واحدٍ منَّا أن يتَّقي الله ـ جلَّ وعلا ـ في هذه المساجد، وبمجرَّد أن يدخل مع باب المسجد يقول: «**باسم الله، والصَّلاة والسَّلام على رسُولِ الله، أعوذُ بالله العَظِيم وبوجْهِه الكَرِيم وبسُلْطَانِهِ القَدِيم مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيم**»، ويُصمِتُ جوَّالَه ويدخل بيتَ الله محترمًا له، ولا يجعل لهذه الأصوات المنكرة أيَّ وجودٍ في بيوت الله ـ تبارك وتعالى ـ، ومن ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه؛ فاتَّق الله في نفسِك، وفي إخوانك المصلِّين، ولن يفوتَك بهذا العمل بإذن الله ﷻ أيُّ مصلحةٍ من مصالحك ما دُمتَ قُمتَ به طاعةً لله، ومراعاةً لحُرمة المسجد، وحفظًا لحقوق إخوانك المصلِّين.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا أن يصلح أحوالَنا أجمعين،

---

(١) رواه التِّرمذي (١٣٢١)، وابن ماجه (٧٦٧)، والنَّسائي في «الكبرى» (٩٩٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال التِّرمذي: حسن غريب؛ وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٣).

وأن يوفِّقنا جميعًا لاحترام بيوت الله ـ تبارك وتعالى ـ، وأن يجعلنا ممَّن يعظِّم شعائرَ الله، وأن يعيذنا جميعًا من استعمال هذه الأجهزة في أيِّ أمرٍ أو مجالٍ يسخط الله ـ تبارك وتعالى ـ، وأن يصلح لنا شأننا كلَّه، إنَّه ـ تبارك وتعالى ـ سميع الدُّعاء، وهو أهلُ الرَّجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اللَّهمَّ اغفِر لمصنِّفِها ولكاتِبِها ولقَارِئها وجميع المسلمِين والمسلماتِ والمؤمنين والمؤمناتِ، ووفِّقنا أجمعين لتعظيم الصَّلاة والمحافظة عليها وحسن إقامتها، والحمدُ لله الَّذي بنعمتِه تتمُّ الصَّالحاتِ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آلهِ وصحبِه وسلَّم تسليمًا كثيرًا أبدًا إلى يوم الدِّين.

۞۞۞



۞۞۞